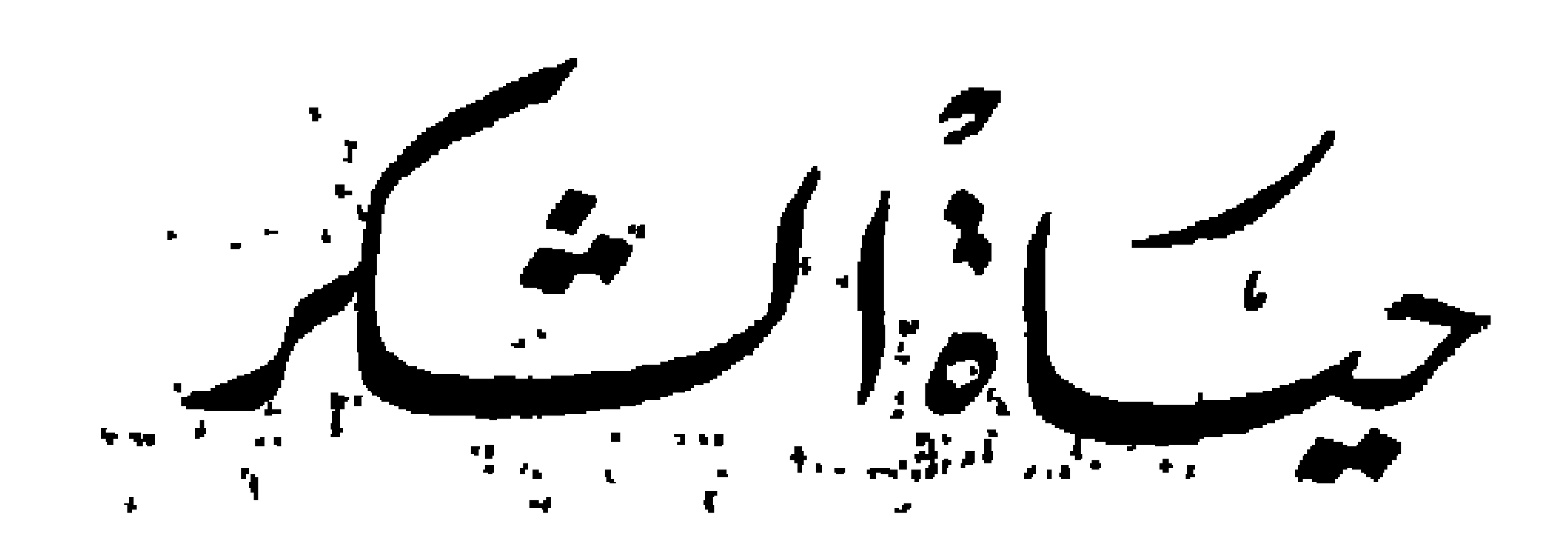
البابا شنودة الثالث

حياة الشكر



البابا شنوده الثالث



Life of Thanksgiving

By H. H. Pope Shenouda III

2nd print

March 1992

Cairo

الطبعة الثانية

مارس ١٩٩٢م

القاهرة



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

قصة هذا الكتاب

١ ـ كنت قد ألقيت محاضرة عن حياة الشكر فى مؤتمر للتربية الكنسية سنة ١٩٦٥ أقيم فى كنيسة مارمينا بالمندرة بالأسكندرية . ونشرت هذه المحاضرة مع باقى محاضراتى الأخرى فى كتاب اسموه (لك يا بنى) نفذت طبعته ، وتوزعت مقالاته فى كتب أخرى ...

٢ ـ ثم ألقيت محاضرة أخرى فى الكاتدرائية المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة مساء الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٨٠ موضوعها «شاكرين فى كل حين على كل شىء» (أف ٥ : ٢٠) . وهذه المحاضرة لم يسبق نشرها .

٣ ـ ثم محاضرة ثالثة لم يسبق نشرها أيضاً ، ألقيت كذلك فى نفس الكاتدرائية بمناسبة عيد رأس السنة فى ٣١/١٢/٨٠ غالبيتها عن حياة الشكر، والجزء الباقى منها عن حياة التسليم، وعن الرجاء .

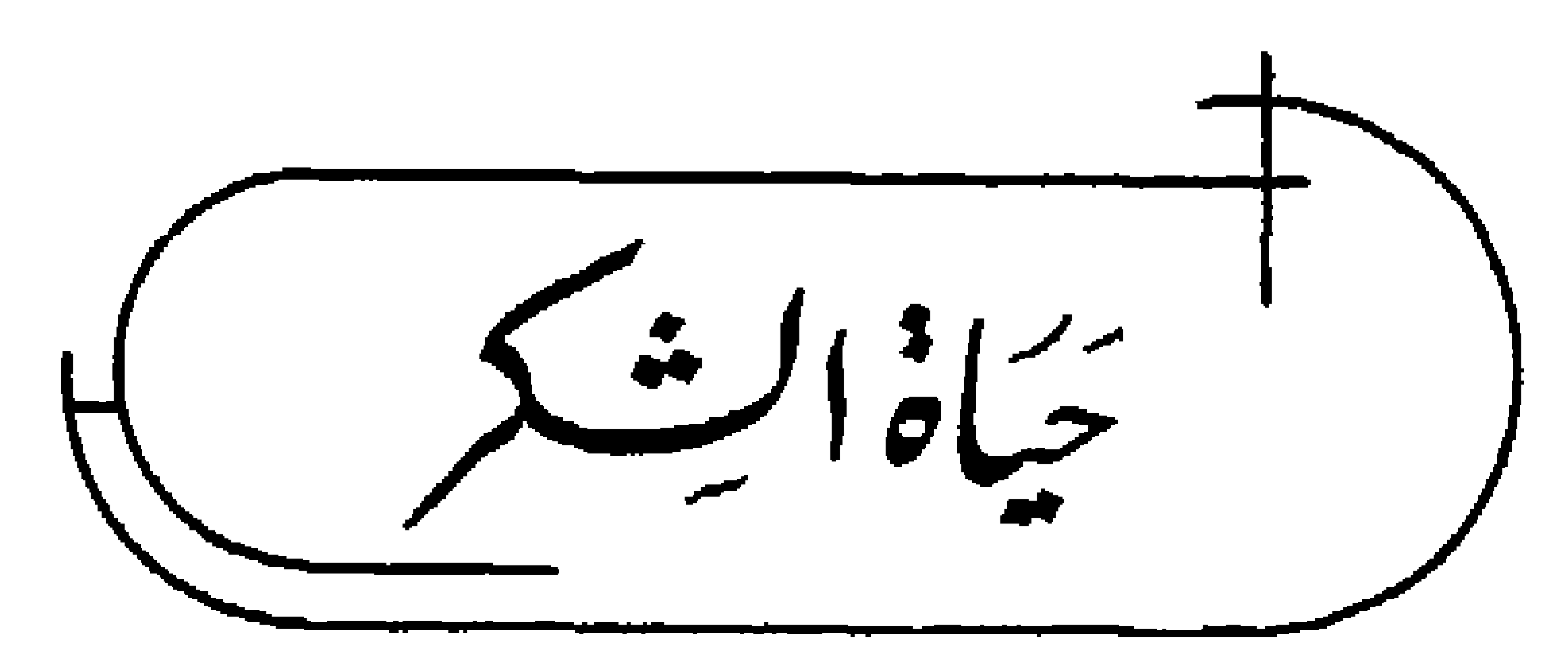
وقد منحنى الله وقتاً أثناء رحلتى إلى روسيا فى هذا الشهر فقمت بدمج هذه المحاضرات الثلاث، واضفت إليها إضافات كثيرة، فى كتاب واحد عن حياة الشكر، هو هذا الذى بين يديك، وهو يختلف كثيراً عما سبق نشره من قبل...

ذلك أننا كنا قد نشرنا المحاضرة الأولى سنة ١٩٦٥م فى كتاب مع تأملات عن صلاة الشكر ألقيت سنة ١٩٦٤م فى القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس، واعيد طبعهما مراراً. كما نشرتهما وأعادت طبعهما مراراً كنيسة العذراء| بمحرم بك بالأسكندرية.

ونرجو إذا شاء الرب وعشنا أن ننشر التأملات الخاصة بصلاة الشكر، ضمن كتاب عن الصلوات المشتركة فى الأجبية، مثل المزمور الخمسين والثلاثة تقديسات، وأرحمنا يا الله ثم أرحمنا...

موسكو فى يونيو ١٩٨٨ — البابا شنوده الثالث


الفصل الأول
حياة الشكر
١ ـ حياة الشكر :
٢ ـ الشكر كل حين .
٣ ـ وعلى كل شيء .
٤ ـ درجات الشكر :
٥ ـ الشكر على القليل .
٦ ـ الشكر على الضيقة .



حياة الشكر

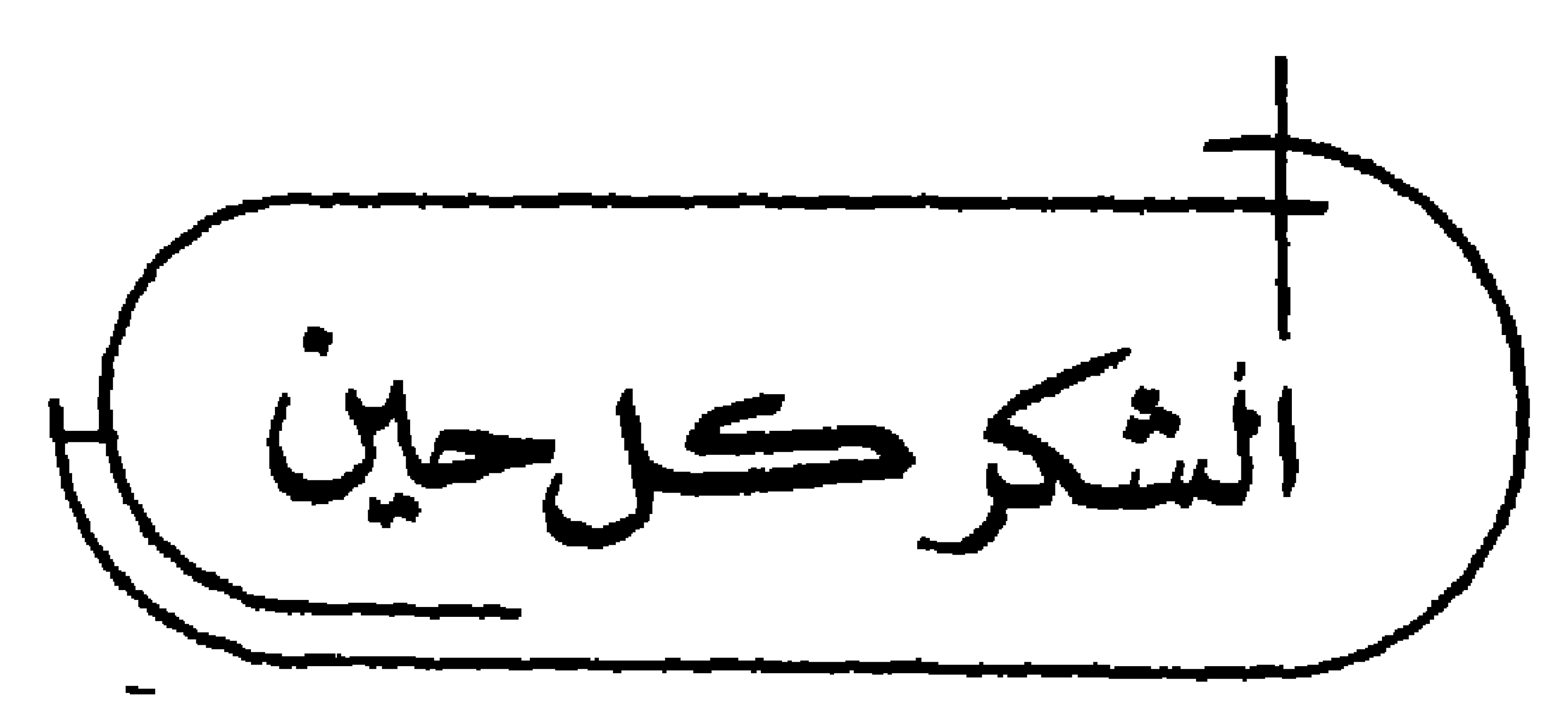
الذى يحيا حياة الشكر ، هو إنسان نبيل ، يشكر الجميل ، ولا ينساه ... لا ينسى مطلقاً أى خير قدّم إليه ، و يعبّر عن ذلك بعبارات من الشكر. فالشكر فى قلبه ، وعلى لسانه ، لله وللناس .

ولقد طوّب السيد المسيح الرجل السامرى - وكان واحداً من عشرة شفاهم من البرص. ولكنه كان الوحيد الذى رجع إلى الرب « وخر على وجهه عند رجليه شاكراً » . فأجاب الرب وقال « أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟! ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس ؟! » (لو١٧ : ١٥-١٨) .

إذن فأنت حينما تشكر ، إنما تعطى مجداً لله ، معترفاً باحساناته اليك ...

فإن كان الله قد صنع معك الخير عن طريق أحد من الناس . فأنت تشكر الله ، وأيضاً تشكر هذا الإنسان ، لأنه كان واسطة طيبة فى وصول خير الله إليك ...

غالبية الناس يشكرون الله فى صباح كل يوم ، وفى آخره ، وفى مناسبات مثل رأس السنة ، والأعياد ، وعلى أسباب هامة فى حياتهم ، ولكن حياة الشكر لها خواص تميزها ، لعل فى مقدمتها قول الرسول :



« شاكرين فى كل حين ، على كل شىء » (أف ٥ : ٢٠)

إذن شكرنا لله ليس له مناسبات محددة ، وإنما هو « فى كل حين » . ومادام هو كل حين ، إذن هو يشمل الحياة كلها ، وتنطبق عليها عبارة « حياة الشكر » .

ومثل هذا التعليم شرحه القديس فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى . فقال « افرحوا كل حين . صلوا بلا أنقطاع . اشكروا فى كل شىء » (١تس ٥ : ١٦ - ١٨) .

من أجل هذا صلاة الشكر ، تتقدم كل صلاة :

كل طقس من طقوس الكنيسة ، وكل قداس ، يبدأ بصلاة

الشكر. وقد وضعت لنا الكنيسة المقدسة صلاة الشكر فى بدء كل صلاة من الصلوات السبع (فى الأجبية) سواء كانت بالنهار أم بالليل. وهكذا نشكر الرب كل حين «عشية وباكر ووقت الظهر». وأيضاً نقول مع المرتل فى المزمور «فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك» (مز١١٩).

وبالإضافة إلى صلاة الشكر العامة، نقدم شكراً فى تحاليل الساعات:

ففى تحليل **صلاة باكر** نقول «نشكرك يا ملك الدهور، لأنك أجزتنا هذا الليل بسلام. وأتيت بنا إلى مبدأ النهار»... إننا نشكره على حفظه لنا سالمين خلال الليل، ومنحه لنا يوماً جديداً فى الحياة...

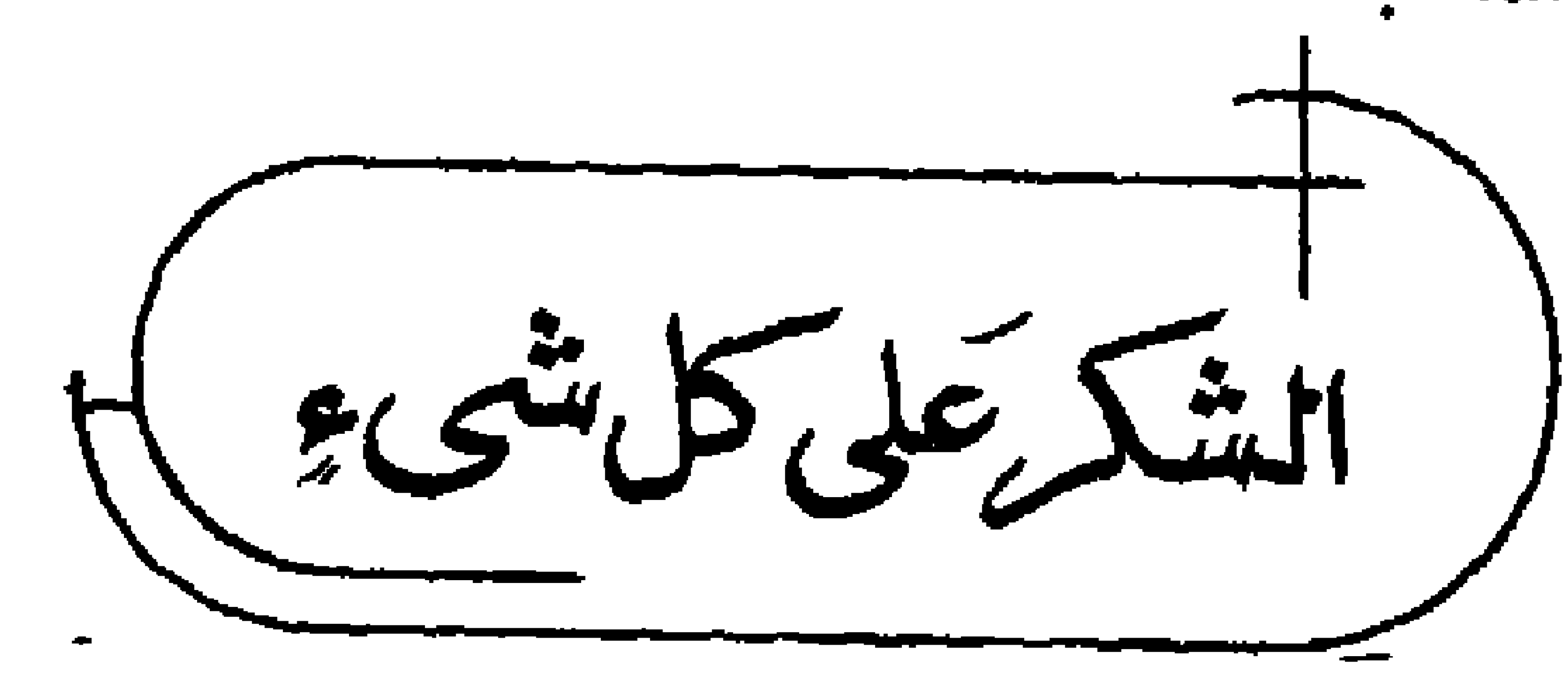
وفى تحليل **الساعة الثالثة** نقول «نشكرك لأنك أقمتنا للصلاة فى هذه الساعة المقدسة التى فيها أفضت نعمة روحك القدوس بغنى على التلاميذ، خواصك القديسين ورسلك المكرمين الطوباويين، مثل ألسنة نار». ونحن نشكره لأنه منحنا أن نصلى فى هذه الساعة. إنها نعمة منه ونعمة.

وهذا ما نقوله فى **تحليل الساعة السادسة**: «نشكرك يا ملكنا

ضابط الكل ومجدك . لأنك جعلت أوقات آلام إبنك الوحيد أوقات عزاء وصلاة » . .

وفى تحليل الغروب نقول له « نشكرك يا مليكنا المتحنن ، لأنك منحتنا أن نعبر هذا اليوم بسلام ، وأتيت بنا إلى المساء شاكرين . وجعلتنا مستحقين أن ننظر النور إلى المساء » . إن كل ساعة تمر بنا بخير، نشكر الله عليها .

إذن هو شكر باستمرار ، سواء فى مقدمة كل صلاة ، أو فى المناسبات .



بل أن الكنيسة تبدأ بصلاة الشكر حتى عندما تصلى فى جناز على شخص أنتقل من هذه الحياة ، أيضاً تبدأ بالشكر. يقول الرسول :

« وكل ما عملتم بقول أو بفعل ، فاعملوا الكل باسم الرب شاكرين الله » (كو٣ : ١٧)... أى فى كل عمل شاكرين الله .
وفى صلاة الشكر نقول :

نشكرك على كل حال ، ومن أجل كل حال ، وفى كل حال .

إذن ليس هو فقط كل حين ، وإنما أيضاً على كل شيء . ذلك لأن الله يعمل معنا الخير باستمرار وقد قال الرسول « كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله » (رو٨ : ٢٨)... سواء فى ذلك الخير الواضح ، أو الأمور التى تبدو وكأنها ليست الخير. ولكنها خير ونحن لا ندرى !

لذلك وُصف الله بأنه « صانع الخيرات » ...

إنه لا يصنع إلا خيراً ، ولذلك فالإنسان المؤمن بصفة الله هذه ، يقبل كل ما يأتى من عند الله بفرح ، و يقول فى إيمان « كله للخير... » . و يشكر الله . وتُظهر له الأيام فيما بعد ، أن هذا الأمر الذى يشك البعض فى خيريته ، كان للخير فعلاً ...

ولكن قد يسأل البعض و يقول : نحن نؤمن بلاشك أن كل ما يأتى من عند الله هو خير. ولكن ماذا عن الأمور التى تأتينا من عند الناس ، وقد لا تكون كلها خيراً ؟! ... نقول له : إن تصرفات الناس حيالنا : إن كانت خيراً ، ستصل إلينا خيراً . ولكن ...

إن لم تكن خيراً ، يحولها الله إلى خير، وتصل إلينا خيراً في النهاية ...

أخوة يوسف الصديق باعوه كعبد . وكان تصرفهم شراً فى ذاته ، وخيانة ، وعدم محبة ، وقسوة ، وحسداً . ولكن الله حوّل ذلك الشر إلى خير، فصار يوسف «أباً لفرعون وسيداً لكل بيته» والثاني فى المملكة... وكان بقاؤه فى مصر «لاستبقاء حياة» . وهو نفسه قال لأخوته «أنتم قصدتم لى شراً ، أما الله فقصد به خيراً... ليحيى شعباً كثيراً» (تك ٥٠ : ٢٠) .

أولاد الله دائماً فرحون ، يشكرونه على كل شيء .

وحينما يشكرونه ، لا يفعلون ذلك كمجرد طاعة لوصية «اشكروا» ... كأمر مفروض عليهم!! كلا ، فليس هذا هو الشكر الحقيقي . وليس الشكر هو مجرد ألفاظ تقال بدون أقتناع ، كإداء لواجب ...

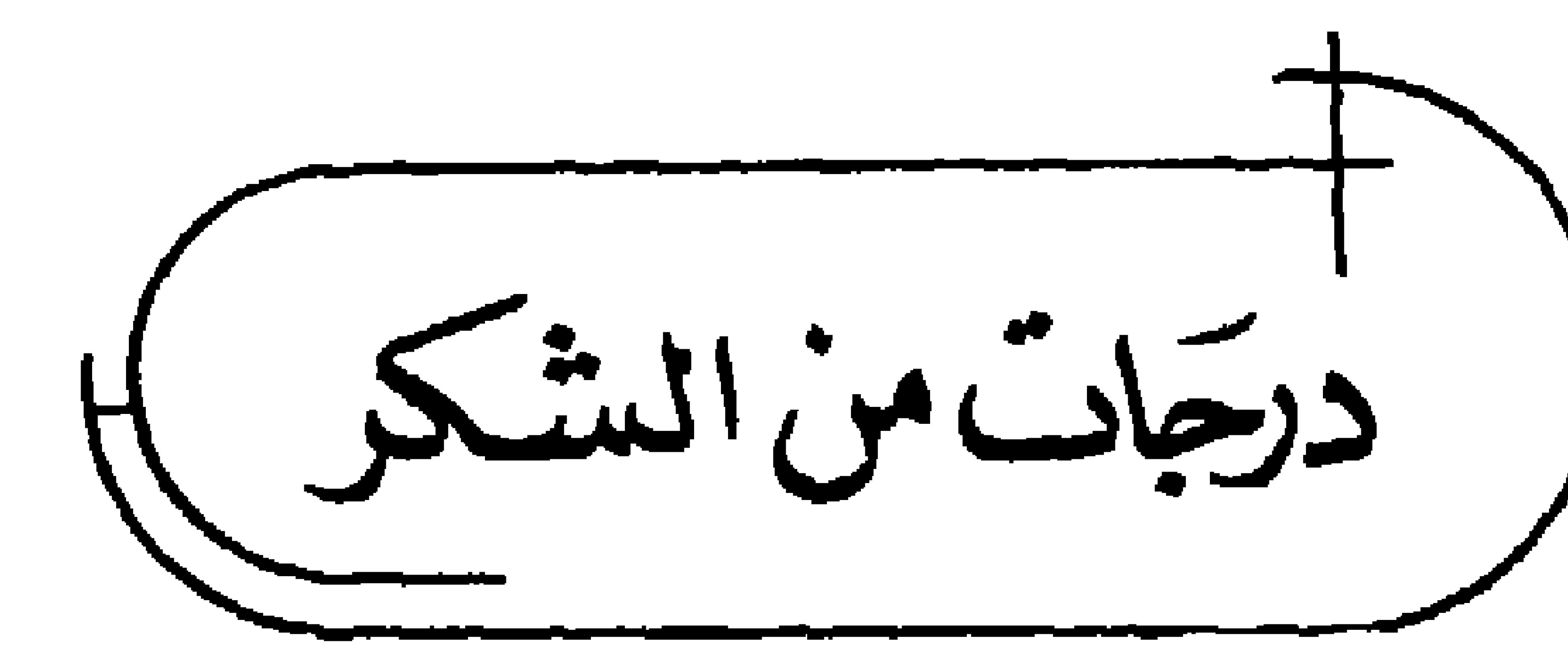
بل يشكرون الله من كل القلب ، وبكل الثقة .

فهم واثقون تماماً وبكل تأكيد ، أن الله لا يسمح بأن يحدث لهم سوى الخير. وأنه كضابط للكل يرقب كل الأمور الحادثة لهم ،

ويأخذ منها موقفاً لصالحهم. لذلك هم يشكرونه على كل ما يحدث -أياً كان- واثقين أنه لخيرهم. ولهذا ترتبط حياة الشكر بحياة الإيمان، كما سنرى عند حديثنا عن الفضائل المتعلقة بالشكر.

والإنسان قد يشكر الله بالكلام، وقد يقدم له ذبائح الشكر، وذبائح سلامة (لا ٣). أو يقدم له نذوراً...

وكما قال داود النبي «كأس الخلاص أخذ، وباسم الرب أدعو. أوفي نذوري للرب قدام كل شعبه» (مز١١٦).



والشكر في حياة أبناء الله على درجات:

أقلها هو الشكر على المعجزات والمواهب الفائقة والنعم العظيمة، وعلى الخيرات الوافرة والواضحة، التي لا يشك أحد في خيريتها وفي عظم نفعها. وربما في غير ذلك قد لا يشكر البعض! وقد تمر عليهم النعم (البسيطة) مروراً عابراً. وخيرات أخرى قد يرونها طبيعية وعادية ولا تحتاج إلى شكر!

وهناك شكر أعلى قيمة ، وهو الشكر على القليل :

قد يكون مستوى عادياً فى حياة الشكر ، أن يشكر إنسان على شفاء مريض من داء خطير كالسرطان مثلاً . ولكن إن شكر على الشفاء من دور زكام أو برد ، فإنه يدل على أنه متعود فى حياته على الشكر، سواء على الكثير أو القليل .

إننا إن شكرنا على القليل ، يقيمنا الله على الكثير .

ولعله من فوائد الشكر ، استمرار النعم وزيادتها . وفى هذا قال أحد الآباء :

« ليست موهبة بلا زيادة ، إلا التى بلا شكر » .

هناك أيضاً شكر على الخفيات ، على ما لا يرى ...

شكر من أجل الحروب والمتاعب ، التى كان ممكناً أن تصل إلينا ، ولم تصل . وذلك بسبب حفظ الله وعنايته . وشكر على عمل الله فى رعايتنا والعناية بنا ، وإن كنا لا نرى ذلك ، ولكننا نؤمن به تماماً . لا شك أن الشيطان يبذل قصارى جهده من أجل ضررنا وأسقاطنا . فإن كنا الآن بخير، فذلك لأن الله قد منع الضرر عنا ، الضرر الذى لا نعرفه ... ونحن نشكر الله على هذا الحفظ .

طبيعى أننا نشكر الله على الضيقات التى أنقذنا منها . ولكن هناك ضيقات أوقفها فى الطريق قبل أن تصل إلينا . إننا لا نعرفها ، ولكن نشكر الله على حفظه لنا منها ...

شكرنا على أنقاذه لنا من الضيقة ، هذا أمر نراه .

أما الشكر على حفظنا من الضيقة ، فهو شكر على ما لا نراه .

صدقونى ، لو كشف الله لنا المصائب التى كنا معرضين لها ، وحمانا الله منها ، وابعدها عنا ... لو كشف لنا ذلك ، ما كانت حياتنا كلها تكفى للشكر.

إننا نشكر على الأمور الخفية ، التى هى فى علم الله ، والتى قد يسمح الله فنعرفها بعد حين ، فى وقتها ، أو قد لا نعرفها على الإطلاق ...

فى كل ذلك يكون الشكر ممزوجاً بالحب .

درجة أخرى وهى الشكر كل حين على كل شىء .

وفيها حياة الإنسان تكون كلها شكراً ، على كل حال يعيش فيه . وقد شرحنا هذا الأمر. والشكر الدائم لا يحتاج إلى سبب

واضح محدد ، وما أكثر الأسباب ... ولكن يكفى أننا فى رعاية الله ، وأننا أبناء له، أياً كانت حالتنا . ويرتبط هذا الشعور بحياة التسليم . ولا يتوقف شكرنا مطلقاً على نوعية الحال الذى نحن فيه ...

الشكر على الضيق

أعلى درجة فى الشكر هى الشكر على الضيقات .

إننا نشكر الله على الضيقات التى أنقذنا منها ، وهذه أقل الأنواع . ولكن الأعظم من هذا أن نشكره أيضاً على الضيقات القائمة التى مازلنا نعيش فيها ونحتملها . وبالإيمان نثق أنها لخيرنا ، فنشكره عليها .

إن الصبر على الضيقة واحتمالها فضيلة . والرضى بالضيقة وقبولها فضيلة أكبر. وأعظم من كل هذا ، الشكر على الضيقة... الشكر بفرح ، وليس كمجرد واجب ...

صدقونى ، إننا إن شكرنا على النعم فقط ، يكون حبنا هو للنعم ، وليس لله معطيها !

أما إن شكرنا الله حتى على الضيقة ، فإنما نبرهن على أننا نحب الله ذاته وليس عطاياه... أى لسنا نحب منه ما يهبه من سعة ورحابة ورفاهية وخيرات ، أو ما يهبه من هدوء وسلام... إن الله وحده هو الهدف ، سواء منحنا ضيقة أم خيرات... نشكره على كل حال ، وفى كل حال...

إننا نشكره مهما حدث . ولا نسمح للأحداث المؤلمة ، أن تقلل إيماننا بحفظ الله أو تقلل شكرنا له .

ولا نسمح لهذه الأحداث أن تنزع سلامنا منا ، أو فرحنا بالرب . إننا نفرح فى الرب كل حين ، أياً كانت الظروف الخارجية ، ونعيش فى سلام مع الله والناس ، فى كل الظروف...

وهذا الشكر وهذا الفرح ، له تأثيره على الآخرين ...

فحينما يرون شكرنا على الضيقة ، وهدوءنا وفرحنا ، يتعزون .

نعم ، حينما يرون سلامنا القلبى وشكرنا ، يتعزون بهذه المبادىء الروحية التى قدمها الإنجيل... بل نكون قدوة لهم بحياتنا وتصرفنا ، إذ قال الروح إن من ثمر الروح «محبة وفرح وسلام» (غل ٥ : ٢٢) . فمن توجد فيه هذه الثمار، فليشكر

الله ...

الضيقات أيضاً تحتاج إلى الشكر ، لأنها تقوى الروحيات

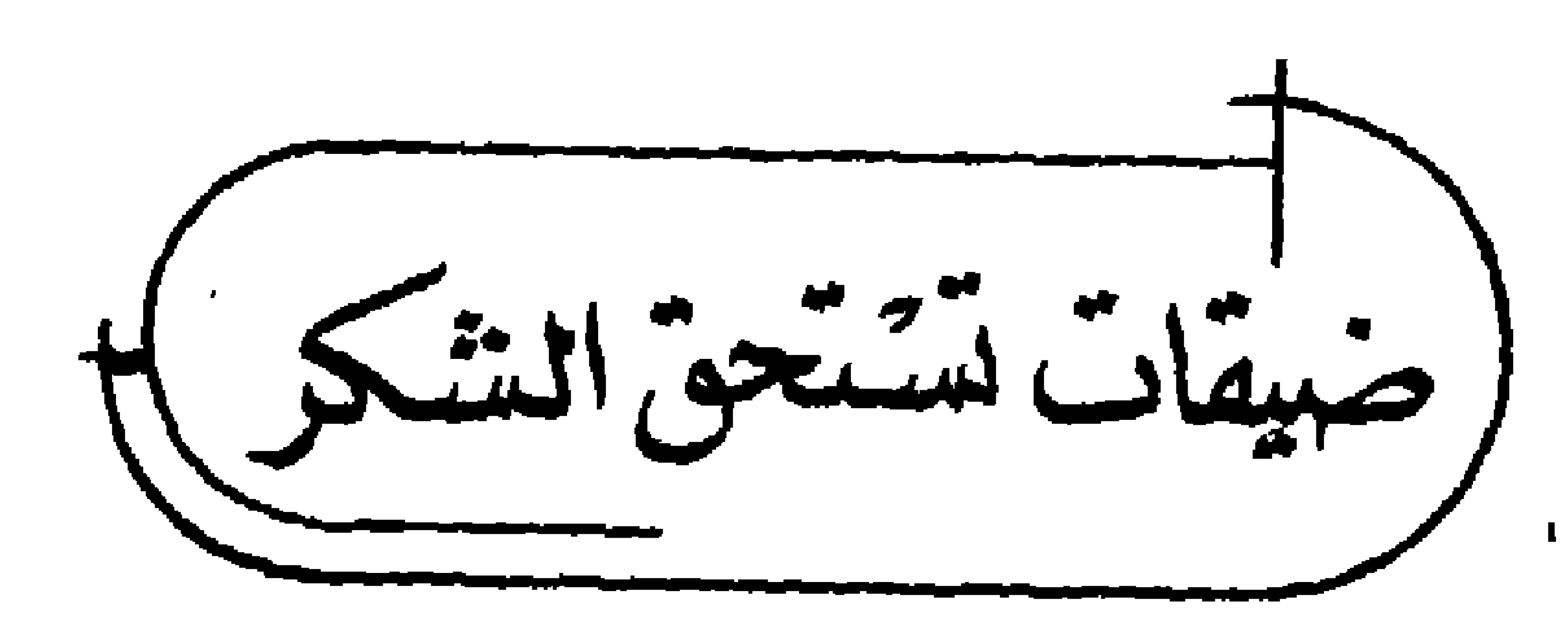
إنها تمنح الإنسان عمقاً فى الصلاة ، وعمقاً فى الصلة بالله ، وعمقاً فى الصوم ، وفى الإيمان . وتعطى الكنيسة قوة ووحدة ، وتلّم شملها ، وترفع قلوب أبنائها إلى الله . وربما ضيقة شديدة تقود الإنسان إلى حياة التوبة ، أكثر من مائة عظة ، وأكثر من قراءة كتب روحية عديدة ...

وفى الضيقات نرى يد الله تعمل .

إنها ترينا الله وعمله ، وتدخله فى حياتنا ، وحمايته لنا . وترينا قوة الله ، وحلول الله العجيبة ، وتعطينا خبرات روحية ما كنا نصل إليها بدون الضيقة ، كما أنها تغربل الكنيسة وتفصل الزوان عن الحنطة ... كل هذه الأسباب وغيرها نحن نشكر الله على الضيقة ، ونرى فيها بركة ...

وطبيعى أن الذى يصل إلى الشكر على الضيقة ، سيشكر على كل شىء آخر ...

هكذا يعيش حياة الشكر الدائم ، ولا يتذمر مطلقاً .



من أجل الأمثلة آباؤنا الرسل لما سجنوهم وجلدوهم :

يقول الكتاب إنهم بعد أن أطلقوهم «ذهبوا فرحين أمام المجمع، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه» (أع ١٥ : ٤١). وهكذا إن آباءنا الرسل حسبوا كل تلك الآلام والإهانات بركة لا يستحقونها.

ذلك لأن الضيقات هي شركة في آلام المسيح :

يقول الكتاب في ذلك « لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في ١ : ٢٩). إذن فالآلام هبة. ومادامت هبة، لماذا لا نفرح بها ونشكر عليها؟! قال القديس بولس الرسول «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبهاً بموته» (في ٣ : ١٠). هذه هي شركة الآلام التي فرح الآباء الرسل بأن يكون مستأهلين لها ...

إن الشخص الروحي، إذا وهبه الرب صليباً ليحمله، يفرح بهذا الصليب و يشكر عليه، لأنه شركة في آلام المسيح.

وهو يشكر على الضيقة ، تماماً كما يشكر على النعمة ، لأن الضيقة نعمة ...

الكثيرون يركزون على ما فى الضيقات من آلام وتعب ، لذلك تضغطهم هذه الآلام وتتعبهم . أما الروحيون فإنهم يتأملون فى شيء آخر، وهو: لماذا سمح الله المحب بهذه الضيقات؟ لابد أن وراءها خيراً، وبركة... إن كنا لا نرى هذا الخير الآن ، فعدم رؤيتنا لا تمنع وجوده . بالإيمان نراه ، وإن كنا بالعيان لا نراه ...

لنأخذ درساً من بعض أحزان وضيقات يونان النبى :

يونان بلعه الحوت . أكان يشكر على هذا؟ نعم ، لأن هذه كانت الطريقة الوحيدة التى خلصته من الغرق فى البحر، وأوصلته للقيام برسالته فى المناداة لنينوى ...

ويونان حزن لما ذبلت اليقطينة التى كانت تظلل عليه : ولو امتد بنظره الروحى إلى قدام ، لرأى أن ذبولها كان المقدمة إلى صلحه مع الله . وهذا أمر يجب أن يشكر عليه ...

وأنطونيوس الكبير مات والده . أكان هذا مدعاة للشكر؟!

أى إبن يمكن أن يشكر على موت أبيه ؟! فإن كان أنطونيوس ليس مناسباً له أن يشكر على ذلك ، فنحن الذين نشكر... لأن موت هذا الأب جعل هذا الشاب القديس يتأمل فى تفاهة الحياة الأرضية ، وكانت هذه هي أول دافع له على الرهبنة ، فأسس لنا هذا الطقس الملائكى... وذلك أنه نظر إلى جثمان أبيه ، وقال له «أين عظمتك وقوتك وغناك؟ لقد خرجت من هذا العالم على الرغم منك. ولكننى سأخرج منه بإرادتى ، قبل أن يخرجوننى كارهاً» . وهكذا ترك العالم ، وصار أباً لجميع الرهبان...

يوحنا الحبيب كان منفياً فى جزيرة بطمس ... أترانا نشكر الله على هذا؟

نعم بلا شك. لأن الضيقة رفعت روحه إلى الرب ، فكان «فى الروح» (رؤ١ : ١٠) . وفى هذا المنفى ، رأى السماء مفتوحة ، ورأى عرش الله والقوات السمائية من حوله ، ورأى ما لابد أن يكون بعد حين ، وكتب لنا سفر الرؤيا المملوء عمقاً .

لا شك أن منفى يوحنا ، كان أسعد أيام حياته .

وكان أمراً يستحق الشكر . المهم أننا لا يكون نظرنا قاصراً على حدود الضيقة ، بل نمتد إلى ما وراءها ، لنرى الخير العظيم

الذى يقصده الله منها ... ولابد أن وراءها خيراً وبركة ...

فإن لم نشكر على الضيقة ذاتها ، نشكر على الخير المقصود منها :

إن أهل العالم قد يفقدون مشاعر الشكر، عندما يقعون فى أحزان ومتاعب متنوعة . وإن طلبت من أحدهم أن يشكر الله ، يقول لك فى تذمر وتعجب : على أى شىء أشكر؟! ها أنت ترى الهمَّ الذى أنا فيه ... » أما أولاد الله القديسون فلا تتعبهم كل هذه الأمور... فلماذا ؟

لأنه لا يتعبهم سوى الإنفصال عن الله . فماداموا ملتصقين به ، يكفيهم هذا لحياة الشكر الدائم ...

فهم يشكرونه فى كل حال ، فى الفقر وفى الغنى ، فى الضيق وفى السعة ، فى المرض وفى الصحة ، على الموت وعلى الحياة ... إنهم دائماً يشكرون ، لأنهم فى كل ذلك لم يفقدوا هدفهم الوحيد، وهو الإلتصاق بالله ... تراهم دائماً فرحين ومتهللين ، يقول كل منهم :

لو ضاع منى كل شىء ، وبقى لى الله وحده ، فهذا يكفينى ، وأشكر الله عليه ...

ذلك لأن الله هو لى الكل فى الكل . فماذا يحزننى ؟! يقول بولس الرسول «لذلك اسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح» (٢كو١٢: ١٠). ولماذا يسّر؟ لأن الضيقات تجعله قريباً من الله أكثر. وفيما هو فى هذا الضعف تحل عليه قوة الله لتحميه فيقوى بالأكثر. لذلك قال بعدها مباشرة «لإنى حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوى» ...

كما أن الضيقات تسبب له الأكاليل ، إن أحتملها بشكر.

الإنسان الروحى إن اصابته ضيقة يقول : لولا أن وراءها خيراً ما كان الله قد سمح بها ؟ لذلك يجب أن ارضى بها

الشكر بلا حدود

لو عاش الإنسان حياة الشكر الحقيقية ، لكان يشكر الله على كل نَفس يتنفسه، وعلى كل خطوة يخطوها، وعلى كل عمل يعمله، وعلى كل ما يأتى عليه. ولا يرى أن هناك شيئاً إلا و يستحق الشكر، من تدابير الله معه. و يقول عن كل ما يحدث له «كله للخير...» .



الفصل الثانى
مجالات الشكر

هناك أسباب كثيرة يجب أن نشكر الله عليها ، أو هى مجـال للشكر. ولكننا نادراً ما نشكر! وبعضها يبدو لنا كأنه مجرد أمور عادية... وهناك أمور أخرى ربما كل تأثيرها علينا أننا نفرح بها . ولكننا نكتفى بالفرح ولا نشكر. وأمور ثالثة يكون واضحاً جداً عمل الله فيها وكرمه وأحسانه . ولكننا نشكر إلى لحظة ، ولا يستمر معنا الشكر أكثر من ذلك ، أى أنها لم تستوف حقها من الشكر! وسنحاول فى هذا الفصل أن نستعرض بعض مجالات الشكر، ونذكر لها أمثلة :

١ ـ أشكر الله لأنه خلقك ، وأنعم عليك بالوجود :

حقاً من منا يشكر الله على أنه خلقه ، ومنحه هذا الوجود ؟! كان ممكناً يا أخى أنك لا تكونُ موجوداً . لم يكن الله مطالباً أن يزيد العالم واحداً... ! اشكر الله أن والدتك لم تكن عاقراً ، بل منحها الله نعمة أن تلد بنين... إن مجرد ولادتك نعمة عظيمة من الله ، إذ يقال فى المزمور «البنون ميراث من الرب» (مز١٢٧ : ٣) . وكان ممكناً أن لا يعطى والدك هذا الميراث ! أو أن ينجبا

أخوتك فقط ، ولا ينجباك أنت بالذات ...! فاشكر الله إذن أنه خلقك وسمح بوجودك ...

وفى هذا المعنى ما أجمل تلك القطعة التى وردت فى القداس الغريغورى ، والتى يقول فيها الأب الكاهن مناجياً الرب فى شكر «خلقتنى إنساناً كمحب للبشر. ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى ، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك . من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن ... » .

٢ ـ اشكر الله على الطبيعة التى حولك :

ألا يليق بنا جميعاً أن نشكر الله ، لأنه خلق الإنسان فى اليوم السادس ، وأعدّ كل شيء لراحته قبل خلقه ... فخلق قبل ذلك السماء ، وزينها بالشمس والقمر والنجوم ، وأوجد النور والضياء ، وأعدّ كل قوانين الفلك التى تربط علاقات الطبيعة فى هذا الكون العجيب ، ونظّم الأمور الخاصة بالهواء والحرارة والأمطار. كما خلق النبات والحيوان ، والكائنات الحيّة الأخرى سواء على الأرض ، أو فى الجو أو فى البحر ، وأوجد للإنسان طعامه قبل أن يخلقه . بل خلق له متعاً من جمال الطبيعة من جمال الورود والأزهار ، وتغريد البلابل والأطيار ، وجمال الحدائق والأزهار...

وبعد أن أعدّ الله كل سبل الراحة ، خلق الإنسان .

فمن من الناس يشكر الله على هذه الطبيعة ، فى كفايتها وفى تنوعها وفى جمالها ؟! إن الكنيسة المقدسة تعطينا هذا التدريب الروحى ، فى الصلاة الشاكرة العارفة بالجميل ، التى يقول فيها الأب الكاهن فى القداس الغريغورى « أقمت السماء لى سقفاً ، وثبّت لى الأرض كى أمشى عليها ... من أجلى ألجمت البحر. من أجلى أخضعت طبيعة الحيوان ... لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك ... » .

٣ـ اشكر الله على المواهب الطبيعية التى منحك أياها :

كثيرون لا يشكرون إلا على المواهب الفائقة للطبيعة ، مثل شفاء المرضى وأقامة الموتى ، والكشف الروحى والرؤى ... ! ولكن مَنْ من الناس يشكر على مواهب الحكمة والعلم والمعرفة ، بينما وضعت هذه المواهب أولاً قبل مواهب الشفاء وعمل القوات والعجائب (١كو١٢ : ٨ـ ١٠) .

هل تشكر الله مثلاً على ما وهبك من العقل أو الذكاء أو الخيال ... ؟

وهل تشكره أنه أعطاك مثلاً موهبة فى الرسم ، أو فى الشعر ،

أو فى الموسيقى؟ أو أنه أعطاك رخامة فى الصوت، أو جمالاً فى الوجه، أو قدرة على الإقناع، أو خفة فى الروح تحبب الناس فيك؟ أو أنه وهبك قدرة على الإحتمال والصبر؟... كلها مواهب من الله تحتاج إلى شكر عليها...

٤ ـ هل تشكر الله على الإيمان الذى أنت فيه ؟

هل تشكره على أنك وُلدت مؤمناً، ولم تبذل أى مجهود لكى تصل إلى هذا الإيمان؟!... ذلك لأن كثيرين يشتهون هذا الإيمان ولا يجدونه... بل ويتعبون من أجله كثيراً، ولا يستطيعون الوصول إليه، إذ تقف أمامهم كثير من المشاكل العقائدية، ومن المتاعب والمشاكل العائلية والإجتماعية وغير الإجتماعية... أما أنت فقد نلت هذا الإيمان مجاناً وسهلاً، إذ قد وُلدت فيه، وفى هذه العقيدة. ألا يستحق منك هذا الأمر شكراً؟!

سمعت قصة عن فيلسوف ملحد، رأى فلاحاً أمياً يصلى وتعجب كيف أن هذا الرجل البسيط راكع فى حقله يخاطب من لا يراه... ويخاطبه من كل قلبه، وبكل مشاعره، وبكل ثقة وإيمان... فقال: إننى مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتى وكل ما قد درسته من علم وكتب، مقابل أن أحظى بشىء من الإيمان

الذى يتمتع به هذا الفلاح البسيط ...

إن إيمانك نعمة ، لم تحظ بها البلاد الملحدة .

ولم يحظ بها الملحدون فى البلاد المؤمنة ... أولئك الذين أتعبتهم أفكار قرأوها فى الكتب ، أو سمعوها من آخرين ... جاءتهم من بعض الكتب الفلسفية ، أو بعض كتب العلم ، أو بعض كتب الملحدين ، أو من حروب الشياطين ، وغرست فيهم شكوكاً دخلت إلى أذهانهم ، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منها ، أو لم يجدوا من يرد عليهم ، ردوداً تقنعهم ... طبعاً لكل هذه الشكوك ردود ، ولكنهم لم يصلوا إليها ... أما أنت ففى إيمانك لا يوجد ما يتعبك . أليس هذا أمراً يحتاج إلى شكر؟!

تشكر الله أيضاً ليس فقط على إيمانك ، بل بالأكثر على أن إيمانك سليم ...

ذلك لأن كثيرين انحرف إيمانهم بسبب اختلاطهم بأفكار مذاهب أخرى ، سواء بسبب اجتماعاتهم أو كتبهم أو نبذاتهم ... وأصبح إيمان هؤلاء ليس كما كان من قبل، بل تغير فى معتقداته ...! ودخل فيهم روح الجدل لإثبات أفكارهم الجديدة ... ! أما أنت فاشكر الله أنك تحيا فى إيمان سليم ، بعيد عن

٥ ـ اشكر الله على أنك مازلت حياً :

وهذا يوافق ما ورد فى صلاة الشكر، إننا نشكر الله لأنه «أتى بنا إلى هذه الساعة» . إن حياتك يا أخى منحة من الله ، بيده أن يبقيها أو أن ينهيها فى أى وقت . وهو يجددها لك يوماً بيوم وساعة بساعة . فلتشكره على هذا اليوم الذى تحياه، وهذه الفرصة التى منحك إياها ، لتحسّن فيها مستواك الروحى ، وتفعل خيراً تجده هناك فى العالم الآخر...

اشكره لأنه أعطاك بهذه الحياة فرصة للتوبة :

قال أحد الكتاب إن «ملايين الملايين من الذين فى الجحيم ، يشتهون ساعة واحدة من الحياة على الأرض» أو حتى دقيقة واحدة ، ليقدموا فيها توبة لله ، ولا يجدون ...

يريدون وقتاً ـ مهما كان قصيراً ـ يقدمون لله فيه اعترافاً كاملاً بخطاياهم ، وانسحاق قلب ، طالبين مغفرته وصفحه ... دقيقة واحدة يقولون فيها عبارة العشار «ارحمنى يارب فإنى خاطىء» (لو١٨ : ١٣) أو عبارة اللص اليمين «أذكرنى يارب ..» (لو٢٣ : ٤٢) .

لو أن الله قرر أن يأخذ روحك الآن ، ألا تشتهى بعض دقائق من هذا العمر الذى لك ؟!

تقول له بعض دقائق يارب أوزع فيها كل ما أملك على الفقراء ، وكل مقتنياتى وترفى ، لأكنز بها كنزاً فى السماء (متى ٦ : ١٩ ، ٢٠) ... بعض دقائق يارب اتصالح فيها مع جميع الذين أخاصمهم ، وأعتذر لهم ، وأقدم لهم مطانيات عند أرجلهم ، مهما كانوا هم المخطئين ... نعم بعض دقائق اعترف فيها بجميع خطاياى بالتفصيل ، حتى بما أخجل منه ، حتى بما يقف على لسانى ولا أستطيع أن أنطق به ... أقوله بدون حرج ، وآخذ عنه حلاً ، قبل أن يغلق الباب وأقف خارجاً ، قارعاً مثل الخمس العذارى الجاهلات ... (متى ٢٥ : ١٠ - ١٢) .

نعم ، لماذا لا تشكر الله على هذه الحياة التى لك ؟

لماذا لا تشكره على هذه الأيام التى مازالت لك من العمر ، وتستطيع أن تعمل فيها الكثير مما يرضى الرب ، ومما يسعد الناس ، وتكسب بذلك ملكوت السموات ، إذ تتوب وتحيا حياة روحية ... !

ألا تشكر الله إلا إذا وجدت كنزاً من المال ، أو حصلت على منصب كبير ؟! وما أدراك ، ربما هذا الكنز ، أو هذا المنصب الكبير ، يكون فى هلاكك ، وتفقد الملكوت بسببه !!

٦ ـ اشكر الله أيضاً ، لأنه هيأ لك بيئة دينية :

اشكره لأنه وهبك أبوين أهتما بعمادك ، وعلّماك طريق الرب ، أو على الأقل لم يمنعاك عن السير فى طريقه . اشكره لأنه هيأ لك خداماً فى الكنيسة يعتنون بك ، حتى وصلت إلى هذا الوضع من المعرفة الروحية والسلوك الروحى ، واصبحت تهتم بخلاصك وتقرأ الكتب الروحية ...

اشكره لأنه ارسل قدوات صالحة إلى طريقك ، تتعلم منها الحياة الحقة كيف تكون ، وعيَّن لك من يرشدك روحياً ...

اشكره لأنك الآن موجود فى الكنيسة* :

كثير من الشبان الآن ، وفى هذه اللحظة موجودون فى أماكن اللهو المختلفة ، ولاهون عن خلاص نفوسهم ، ومنشغلون بخطايا متعددة . أما أنتم فاشكروا الله أنكم فى الكنيسة ، وأن الكنيسة أصبحت جزءاً من حياتكم ، لا يمكنكم الاستغناء عنها . ولولا نعمة الرب عليكم ما كنتم هكذا ... فمن منكم يشكر الله الآن ، لأنه الله قد أحتضنه فى بيته ، وأدخله موضع سكناه .... ؟

اشكر الله أيضاً لأنه لا توجد عوائق تمنعك عن بيته ولا عن الاندماج فى الشركة مع أولاده .

كثيرون تعوقهم ظروف متعددة عن المجىء إلى الكنيسة : إما أن مواعيد عملهم تتعارض مع مواعيد الكنيسة ، أو أن حالتهم الصحية أو الجسدية تمنعهم ، أو أن كثرة أسفارهم شغلتهم ، أو أنهم فى قرية لا توجد فيها كنيسة ، أو هم متغربون أو مهاجرون فى بلد لا توجد فيه كنيسة ، أو لأى سبب آخر... أما أنت فاشكر الله لأنه لا يوجد أمامك شىء من هذه الموانع كلها ...

واشكره لأن أندماجك مع أبنائه يمنحك قوة روحية .

ذلك لأنهم يدفعونك باستمرار إلى قدام ، وتجد معهم بيئة مقدسة تتبادل فيها الأحاديث الروحية . كما أن سيرتهم تسبب لك خجلاً إن تصرفت أى تصرف خاطىء . وصلتك بهم تقوى رابطتك بالكنيسة وبما فيها من أنشطة واجتماعات . كما تجد فى مجالهم صداقات روحية نقية تشبع عواطفك . وكما قال الكتاب « إثنان خير من واحد لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده إن وقع ، إذ ليس ثانٍ ليقيمه » (جا ٤ : ٩ ، ١٠) .

أليس حقاً إذن أن تشكر الله على صداقاتك الروحية .

كل صديق روحى ، هو كنز لك من الله تشكره عليه وبنفس الوضع الأب الروحى والمرشد الروحى ، وكل من يسندك

فى حياتك الروحية، وكل من تجد فى عشرته جواً روحياً يمكن أن تنمو فيه روحك... اشكر الله على الأشخاص الذين وضعهم فى طريقك واستفدت منهم. إنه هو الذى ارسلهم إليك...

٧ ـ نشكر الله أيضاً، لأنه لم يعاملنا بحسب خطايانا.

وهذا ما ذكره داود النبى فى مزمور (١٠٣) الذى بدأه بقوله «باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى ليبارك إسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل احساناته»... إلى أن قال «الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة... لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات على الأرض، قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب، ابعد عنا معاصينا، كما يترأف الأب على البنين، يترأف الرب على خائفيه. لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن» (مز١٠٣: ٨-١٤).

وهكذا نصرخ نحن للرب فى صلواتنا قائلين «كرحمتك يارب ولا كخطايانا». والعجيب أن الله يفعل ما هو أكثر:

فلا يكتفى بعدم معاقبتنا، إنما أيضاً يصنع معنا إحساناً!

كم من مرة ـ ونحن فى عمق الخطايا ـ نطلبه فيستجيب، بكل

حب ، كأننا لم نخطىء إليه ولم نكسر وصاياه ! إنه يخجلنا بمحبته وحنانه ، ونسيانه للإساءة ، ومقابلتها بالإحسان .. ! ألا نشكره كثيراً من أجل كل هذا ؟!

إن الذى يتأمل خطاياه ، وكم هى بشعة ، يتعجب من حنو الله فى تعامله معه ، كيف أنه يطيل آناته عليه ، ولا يطبق عليه ما تستحقه هذه الخطايا من عقوبة أمام العدل الإلهى .

كم من خطايا تبدو أبسط من خطاياك بكثير، نالت عقوبات شديدة جداً. والأمثلة عديدة ومتنوعة :

حنانيا وسفيرا ، كذبا على بطرس الرسول فى إخفاء جزء من المال ، فكانت النتيجة أنهما وقعا ميتين للتو ، دون أن تعطى لهما حتى فرصة للتوبة ... ومع ذلك كم من أناس يكذبون مراراً كل يوم ، وقد يكذبون على كهنة ورؤساء كهنة . والله صابر لا يعاقبهم . راجع نفسك فى هذه النقطة ، واشكر الله .

والسيد المسيح يقول من قال لأخيه يا أحمق ، يكون مستحقاً نار جهنم (متى ٥ : ٢٢) . وكم من مرة نقول هذه العبارة ، أو ما يشابهها فى المعنى ... ثم نعترف بالخطأ ، و يغفر لنا الله ، ولا تلحقنا نار جهنم ...

هيرودس الملك مجده الناس ، وقالوا « هذا صوت إله ، وليس صوت إنسان » وسكت « ففى الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط مجداً لله . فصار يأكله الدود ومات » (أع ١٢ : ٢٢ ، ٢٣) . ونحن كم يمجدنا الناس أحياناً ونسكت ، ولا يعاقبنا الله بشيء . ألا نشكر الله على عدم معاقبته ؟!

زكريا الكاهن مجرد أنه استصعب أن يكون له ولد وهو شيخ ، عاقبه الله بأن بقى صامتاً تسعة أشهر حتى ولد الصبى .

ونحن ألا نخطىء كل يوم خطايا أكثر من زكريا الكاهن ، ومع ذلك فلا عقوبة !

ألا نشكر الله إذن على أنه لم يستخدم معنا عدله الإلهى « ولم يجازنا حسب خطايانا » ؟! فلنحسب خطايانا التى نرتكبها كل يوم ، وربما كل ساعة ، و يقابلها الله بصبر عظيم ...! ومع ذلك ها نحن نحيا ، وطول أناة الله مازالت صابرة علينا ، لكيما تقودنا إلى التوبة .

فلنشكر الله اذن على احتماله العجيب ...

الناس لا يحتملوننا فى القليل ، وهم معرضون للخطأ مثلنا . والله الكلى القداسة والصلاح ، والكلى العدل ، يحتملنا فى أمور

خطيرة جداً تتكرر منا كل يوم، ومع ذلك لا نشكر! بل نحن أنفسنا ربما لا نقدر أن نحتمل غيرنا فيما هو أقل بكثير من الأمور التى نخطىء فيها إلى الله، ويحتملنا... بل ويحتمل الله جميع الخطايا، التى يخطىء بها جميع الناس، فى جميع البلاد، فى كل حين، فى الماضى والآن وفى المستقبل. ولم يضرب العالم بضربات قاسية، مثلما فعل قبلاً فى الطوفان وحرق سدوم... ومع ذلك لا نشكره!!

ألا تركع حالياً وتقول «اشكرك يارب لأنك أحتملتنى، ولا تزال تحتملنى، وتحتمل عدم شكرى»! حقاً يارب أنك طيب وحنون. وما أصدق قول داود النبى عنك:

« يارب، من مثلك ؟! ليس لك شبيه بين الآلهة، ولا مثل أعمالك» (مز٧١: ١٩) (مز٨٦: ٨).

جميل هو التأمل فى معاملات الله، سواء لك أو لغيرك. وجميل هو التأمل فى صفاته الجميلة. إنك تتغنى بها فتشكره عليها. تشكره لأنه حنون، ولأنه طيب، ولأنه محب، ولأنه غفور، ولأنه طويل الأناة، ولأنه «يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن» (مز١٠٣: ١٤) ويعاملنا هكذا...

٨ ـ اشكر الله أيضاً على إحساناته ورعايته :

اشكره على إحساناته إليك ، وإلى كل احبائك وأصحابك وأقاربك ومعارفك ، وإلى باقى الناس . اشكره على احساناته إلى الأسرة ، وإلى الكنيسة ، وإلى الوطن ... إحساناته العامة والخاصة .

اجلس بينك وبين نفسك ، واستعرض حياتك منذ وُلدت :

كم مرة طلبت من الرب طلباً ، فاستجاب لصلاتك ، وأعطاك سؤل قلبك ؟ كم ضيقة أنقذك منها ؟ كم امتحانات انجحك فيها ، وكنت تشعر أنك غير مستعد لها ؟ كم مرض شفاك منه ، أو أنقذك من الإصابة به ؟ كم مشكلة حلها لك ؟ كم قضية كانت نتيجتها فى صالحك ؟ كم خطية ارتكبتها ولم يسمح أن تنكشف للناس ؟ كم باب رزق فتحه أمامك ؟ كم عمل قمت به ووفقك فيه ؟ كم مرة كان معك فى خدمتك وفى نشاطك ؟ كم أعطاك نعمة فى أعين الآخرين ؟ كم عثرة أنقذك منها ؟ وكم خطية كدت تقع فيها وأنتشلتك النعمة ؟ كم وكم وكم ... ؟؟؟

أتستطيع أن تحصى احسانات الله إليك ؟! الست أظن هذا ممكناً ... !

فكم بالأكثر لو أضفت إليها احساناته إلى أحبائك ، واحساناته

العامة التى شملتك وشملت غيرك أيضاً... والخيرات التى أتتك حتى بدون صلاة وبدون طلب، وإنما من فرط نعمته وافتقاده وحبه... كل ذلك أضعه أمامك، وقدّم عنه شكراً فى كل تفاصيله. وبخاصة الأمور التى كانت معقدة جداً، ولم يكن أحد يستطيع حلها سوى الله، وقد كان... سجّل كل هذا، حتى لا تنساه....

٩ـ اشكره على الصحة التى يمنحك إياها :

من منا مثلاً يشكر الله لأنه يبصر ؟ لكنه إذا مرضت عيناه، وبدأ يعالجها، يبدأ حينئذ يشعر بنعمة البصر التى لم يشكر عليها من قبل. كذلك مَنْ من الناس يشكر الله على أنه يمشى حسناً على قدميه ؟ ولكنه لا يذكر ذلك، إلا إذا حدث له كسر فى رجله، واحتاج إلى عصا يتوكأ عليها. حينئذ يدرك أن مجرد المشى على قدميه كان أمراً يحتاج إلى شكر... حقاً ما أصدق قول الحكيم :

الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يحس به إلا المرضى

فنحن من عادتنا أننا لا نشعر بقيمة الشىء الذى عندنا، إلا إذا فقدناه... وهكذا لا نشكر الله على أن أجهزة جسدنا سليمة، إلا إذا اختل واحد منها. فلا أحد يشكر الله على معدة سليمة تهضم الطعام جيداً. ولكنه إذا مرضت معدته، ونقص بعض من

عصاراتها ، أو أصيب بقرحة فى المعدة ، حينئذ يشكر الله على كل يوم تقوم فيه معدته بعملها الطبيعى ، أو تعمل دون أن تتألم ، أو بدون دواء ؟ اشكر الله إذن على صحتك ، لأن كثيرين يشتهون الحالة التى أنت فيها ، ولا يجدونها ...

١٠ ـ وكما تشكره على الصحة ، اشكره أيضاً على المرض

ذلك لأن المرض ليس شراً فى ذاته ، لعازر المسكين كان مثقلاً بالأمراض ، وكانت الكلاب تلحس قروحه ... لكن كل هذا لم يكن شراً فى ذاته ، ولم يفصله عن الله ، بل بالعكس كان لفائدته . فعندما اتكأ فى أحضان ابراهيم ، قدم عنه تقريراً أنه «استوفى بلاياه على الأرض ، لذلك هو يتعزى» (لو١٦ : ٢٥) . هكذا فلتشكر الله على المرض ، لأنك قد تستوفى به البلايا ، وتأخذ نصيب لعازر المسكين... قال القديس باسيليوس الكبير:

« إنك لا تعرف ما هو المفيد لك : الصحة أم المرض » .

القديس بولس الرسول أُعطى شوكة فى الجسد ، لمنفعته الروحية «لئلا يرتفع من فرط الإعلانات . وقد طلب من الله ثلاث مرات أن يفارقه هذا المرض» (٢كو١٢ : ٨) . ولكن الله لم يستجب صلاته ، بل قال له « تكفيك نعمتى » .

طبعاً نحن بضعفنا البشرى نطلب الصحة . ولكننا لا نعرف ما هو المفيد لنا ...

ربما يتعبنى المرض على الأرض ، ولكنه يساعدنى على دخول الملكوت.

هكذا إذا كان استغلالى له حسناً . ومن الناحية الأخرى ما أكثر ما تكون القوة الجسدية ضارة لمن يستخدمها بطريقة خاطئة ! المهم إذن هو الصحة الروحية .

حكى فى بستان الرهبان عن أحذ النبلاء الأثرياء ، أن كانت له إبنة وحيدة مريضة مشرفة على الموت . فطلب من أحد الآباء القديسين أن يصلى من أجلها لكى تشفى . فحاول القديس أن يعتذر بكافة الطرق ، ولكن الرجل ألح عليه . فصلى القديس وعاشت الفتاة ، إلا أنها سلكت فى سيرة شريرة أضاعت كرامة أبيها ، لدرجة أنه عاد إلى القديس مشتهياً أن تموت هذه الإبنة الوحيدة ... !!

عجيب أن كثيرين لا يذكرون فى المرض سوى أوجاعه :

دون أن يذكروا بركات المرض وفوائده ! بل أن البعض قد يصل إلى حالات من الضيق والتذمر ، وقد يعاتب الرب و يقول :

لماذا يارب فعلت بى كل هذا ؟ أما أنت فلا تكن هكذا .

إنما فى مرضك اشكر الله على البركات التى حصلت عليها نتيجة لهذا المرض :

قل له اشكرك يارب على هذا المرض ، الذى أعطانى فرصة أعمق للصلاة ، أو الذى أعطانى توبة ، ومنحنى تواضعاً وانسحاق قلب وشعوراً بضعفى . اشكرك يارب على هذا المرض الذى جعلنى اشعر بمحبة الناس وسؤالهم عنى . اشكرك لأن المرض منحنى فترة خلوة قضيتها على الفراش ، وكانت لازمة لى ، على الأقل لأفحص نفسى ، ولأنفرد بك .

نشكر الله أيضاً ، لأنه سترنا وأعاننا ، وحفظنا وقبلنا إليه ، واشفق علينا وعضدنا ، وأتى بنا إلى هذه الساعة ...

هذا ما تعلمنا الكنيسة أن نشكر الله عليه ، فى صلاة الشكر التى نرددها مرات فى صلوات الساعات (فى الأجبية) كل يوم... وكل كلمة من كلمات الشكر هذه ، تحتاج إلى تأمل خاص .

وقد نشرنا لك عنها كتاباً خاصاً ، إسمه «تأملات فى صلاة الشكر» صدر منذ سنة ١٩٦٤ وأعيد طبعه عدة مرات ، فيمكنك الرجوع إليه .

١١ ـ اشكر الله أيضاً على الخير الذى تراه ، والخير الذى لا تراه ...

تشكره على الخير الذى تراه بالعيان ، والخير الذى تراه بالإيمان . إن الله كما يدعونا أن نعمل خيراً فى الخفاء ، وهو يرى هذا الذى فى الخفاء ويجازينا علانية (متى٦ : ٤ ، ٦) ... كذلك هو أيضاً يعمل من أجلنا كثيراً من الخير فى الخفاء ، يجب أن نشكره عليه علانية .

كثير من الخير الذى نتمتع به الآن ، كان يعده لنا الله من سنوات طويلة ، ونحن لا نعلم . وهو لا يزال يعد لنا خيراً ، ستظهر نتائجه فى المستقبل ، فنشكر عليها حينئذ . وهو يعمل خيراً من أجلنا الآن وفى كل لحظة ، ولكننا لا نبصر... !

بل كل عمل صالح نحن نعمله يد الله فيه ، ولولا ذلك ما استطعنا أن نعمل شيئاً صالحاً على الإطلاق ...

أليس هو القائل « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو١٥ : ٥) . هو إذن العامل فينا ، والعامل معنا . هوذا القديس بولس الرسول يقول «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (فى٢ : ١٣) . إذن مجرد أن نريد شيئاً

يسر الله، هذا أمر يجب أن نشكر الله عليه، لأن هذه الإرادة الصالحة التى لنا هى من عنده. وكوننا نعمل عملاً صالحاً، هذا أيضاً من عنده. ويجب أن نشكره عليه ...

١٣ - وهنا يجب أن نشكر الله على النعمة العاملة فينا :

إن النعمة من الأمور الأساسية التى يجب أن نضعها فى قائمة شكرنا لله. هوذا القديس بولس الرسول يقول «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاه لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم، ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى» (١كو١٥: ١٠). ألا يستحق الله منا كل شكر على هذه النعمة العاملة فينا ؟!

نشكره إذن على شركة الروح القدس فى حياتنا.

هذه التى هى جزء من البركة الممنوحة لنا (٢كو١٣: ١٤). نشكره لأنه جعلنا هياكل لروحه القدوس، كما قال الرسول «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦). روح الله هذا الساكن فينا، هو الذى يبكتنا على خطية (يو١٦: ٨). وهو الذى يعلمنا كل شيء (يو١٤: ٢٦). ويرشدنا إلى جميع الحق (يو١٦: ١٣). وهو الذى يعطينا قوة فى

الخدمة حتى نشهد لله فى كل موضع (أع ١ : ٨)... ألا نشكر كل حين على عمل الروح فينا .

فإن عملنا فى وقتٍ ما عملاً صالحاً ، فلنشكر الله على ما عملنا ، لأنه هو الذى عمله عن طريقنا .

خطأ كبير هو ، أننا بدلاً من شكرنا لله نفتخر ونشكر أنفسنا ، كما لو كنا بقوتنا أو بتقوانا قد عملنا عملاً . هذا الفخر هو الذى يمنع عمل النعمة فينا ، حتى لا نصير ابراراً فى أعين أنفسنا (أى ٣٢ : ١) . وهكذا نحزن الروح القدس... ليتنا إذن نذكر قول القديس بولس الرسول (١كو١ : ٣١) :

« من افتخر فليفتخر بالرب (٢كو ١٠ : ١٧) .

لأنه هو الذى يمنح الإرادة والقوة والمعرفة ، ولولاه ما كنا نستطيع أن نعمل شيئاً . إن كان القديس بولس يقول «لا أنا ، بل نعمة الله التى معى» (١كو١٥ : ١١) . فماذا نقول نحن الضعفاء العاجزين . كل ما نستطيع أن نعمله هو أن نشكر الله و ونرجع الفضل إليه . وحينئذ يزداد عمل النعمة فينا ، و يتكاثر الثمر جداً ...

١٤ ـ اشكر الله أيضاً لأجل الفداء العظيم الذى قدمه لنا :

يوجد أمر عظيم جداً ، يتصاغر أمامه كثير من الأمور السابقة ، ويحتاج إلى شكر طوال الليل والنهار... وهو الخلاص العظيم الذى قدّم لنا على الصليب ، ولولاه لهلكنا جميعاً ...

من منا يشكر سيدنا يسوع المسيح ، لأنه صلب من أجلنا ؟ لأنه تجسد وسكب دمه لأجلنا ؟ إن حكم الموت الذى وقع على البشرية ما كان ممكناً لأحد أن يخلص منه ، بدون تجسد الإبن وصلبه وموته .

لقد أنقذنا المسيح بموته ، إذ مات عنا . فمن منا كل يوم وكل ليلة ، يذكر صليب المسيح ، ويشكره لأنه دفع الثمن نيابة عنا ، وبدون هذا الثمن ، ما كان ممكناً أن تنفع الأعمال الصالحة ولا التوبة ، ولا أى شىء آخر.

مات المسيح عنا ، وأصبحنا «متبررين مجاناً بنعمته» (رو٣: ٢٤).

أفلا نشكر إذن على هذا الخلاص المجانى الذى نلناه ؟

هذا الخلاص الذى لم نبذل فيه جهداً ، والذى دبره الله هكذا ، دون أن نطلبه ... ! وماكنا مستحقين مطلقاً ... «ولكن الله بين محبته لنا ، ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» «مات فى

الوقت المعين لأجل الفجار» (رو٥ : ٨، ٩) «البار لأجل الأثمة» (١بط٣ : ١٨) ... أى حب أعظم من هذا ، وأى بذل ؟ أما ينبغى أن نضع هذا الخلاص أمامنا باستمرار، ونشكره عليه ؟ ...

الكنيسة تذكرنا بهذا الأمر فى مناسبات متعددة، لكيلا ننساه .

فى كل سنة تقيم لنا اسبوع الآلام ، اسبوع البصخة ، ويوم الجمعة العظيمة ، بذكرياته العميقة المؤثرة ، حتى لا ننسى صليب الرب ، بل نذكر ونشكر. فهل يكفى هذا التذكار السنوى ؟ كلا ، لأننا ننسى . ماذا تعمل الكنيسة إذن؟ جعلت كل يوم جمعة فى الأسبوع صوماً لنتذكر فيه صليب المسيح ، لأننا ننسى ، وبالتالى لا نشكر عليه ... فهل يكفى هذا التذكار الأسبوعى ؟ كلا ... لذلك وضعت لنا الكنيسة صلاة الساعة السادسة من النهار، لكى نتذكر هذا الفداء العظيم ، وتمتلىء قلوبنا شكراً .

فى كل يوم نشكر الله ، لأنه أعطانا خلاصاً هذا مقداره .

وهذا نوع من الشكر الجماعى ، للكنيسة كلها ، يردده جميع المؤمنين معاً ، إذ يقولون فى الساعة السادسة من كل يوم «... بمشيئتك سررت أن تصعد على الصليب ، لتنجى الذين خلقتهم من

عبودية العدو. نصرخ إليك ونشكرك ، لأنك ملأت الكل فرحاً ، لما أتيت لتعين العالم. يارب المجد لك » .

١٥ ـ نشكر الله أيضاً ، لأنه أعطانا أن نعرفه :

وهكذا يقول الأب الكاهن فى صلوات القداس الغريغورى « أعطيتنى علم معرفتك » . ويقول أيضاً « أرسلت لى الناموس عوناً » . فهل نحن نشكره على هذه البشارة المفرحة فى الإنجيل ، وكل ما فى الكتاب المقدس من فكرة عن الله وعمله ، ومعاملاته مع الكل ، وصفاته المقدسة ؟ ...

وإن كنا حينما تُقرأ علينا فى الكنيسة عظة لأحد القديسين ، نرتل له لحناً نشكره فيه « لأنه أضاء عيون قلوبنا بتعاليمه النافعة ، فأى شكر نقدمه على هذه الذخيرة العظمى التى تركها لنا أباؤنا القديسون الأنبياء والرسل ، الذين تركوا لنا كل وصايا الله وناموسه ونبوءاته « مسوقين من الروح القدس » (٢بط ١ : ٢١) ...

لقد عرفنا الله فى كتابه ، ورأيناه فى إبنه .

« الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبَّر» (يو١ : ١٨) . وبه قد عرفنا الآب ... وهو نفسه قال للآب «أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك. أما أنا

فعرفتك ... وعرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » (يو١٧ : ٢٥ ، ٢٦) .

مبارك هو الله الذى أعطانا أن نعرفه ونعرف طرقه .

ونعرف وصاياه أيضاً وتعاليمه ، ونعرف أنبياءه وقديسيه . نشكره على هذه المعرفة التى لا نستحقها . ونشكره لأنه أعطانا أن نعرف «ما لابد أن يكون ...» (رؤ١ : ١) ، وأعطانا فكرة عن سمائه وملائكته وملكوته . ونقلنا بهذه المعرفة إلى مستوى عالٍ من فوق هذا المستوى الأرضى الذى نعيش فيه ...

١٦ ـ نشكره أيضاً من أجل وعوده لنا :

نشكره من أجل النعيم الأبدى الذى يعده لنا فى أورشليم السمائية مسكن الله مع الناس ، حيث يسكن معنا ونكون له شعباً (رؤ٢١ : ٢ ، ٣) . وهو قد وعدنا قائلاً «... آتى أيضاً وآخذكم إلىّ ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤ :٣) . ووعدنا أيضاً بما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه » (١كو٢ : ٩) . وأن نجلس معه فى عرشه كما يجلس هو مع الآب فى عرشه (رؤ٣ : ٢١) . ووعدنا أن نأكل من المن المخفى ، ونأكل من شجرة الحياة

(رؤ٢ : ١٧ ، ٧) .

هذه وعود فى الأبدية ، ومعها وعوده لنا على الأرض :

نشكره على وعده أن يكون معنا كل الأيام وإلى أنقضاء الدهر (متى٢٨ : ٢٠) وقوله لنا «حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم» (متى١٨ : ٢٠) . ونشكره على وعوده لنا بالحفظ ، وقوله «أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاه» (متى١٠ : ٣٠) وقوله لكل واحد منا «هوذا على كفى نقشتك» (أش٤٩ : ١٦) .

١٧ ـ نشكره لأنه دعانا أبناء له وأحباء :

هكذا قال القديس يوحنا الحبيب «أنظروا أية محبة أعطانا الآب ، حتى نُدعى أولاد الله» (١يو٣ : ١) . وعلمنا الرب أن نصلى قائلين «أبانا الذى فى السموات ...» (متى٦ : ٩) . وقال لنا أيضاً «لا أعود اسميكم عبيداً ... لكنى قد سميتكم أحباء» (يو١٥ : ١٥) . بل سمانا أيضاً خاصته ، وقيل عنه إنه «أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى» (يو١٣ : ١) .

واعتبر علاقتنا به كعلاقة الغصن بالكرمة ، وعلاقة الجسم بالرأس ، وعلاقة العروس بعريسها .

فقال «أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذى يثبت فىّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير» (يو١٥ : ٥) . وقال القديس بولس الرسول عنه إنه «رأس فوق كل شىء للكنيسة التى هى جسده» (أف ١ : ٢٣) . وأيضاً «لأن الرجل رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضاً رأس للكنيسة» (أف ٥ : ٢٣) . وقال أكثر من هذا «لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه» (أف ٥ : ٣٠) . وعندما ذكر أن الكنيسة هى عروس المسيح قال «إن هذا السر عظيم» (أف ٥ : ٣٢) . و يوحنا المعمدان أيضاً قال عن المسيح والكنيسة «من له العروس فهو العريس» (يو٣ : ٢٩) .

نشكر الله أيضاً ، أنه فى ظل هذه العلاقة : جعل علاقته بنا ، هى علاقة حب لا خوف .

وقال إن الوصية الأولى هى «تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك» (متى ٢٢ : ٢٧) . وقال القديس يوحنا الرسول «فى هذا هى المحبة : ليس أننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وأرسل إبنه كفارة عن خطايانا» (١يو٤ : ١٠) . وقال أيضاً «الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه» (لا خوف فى المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج» (١يو٤ : ١٦ : ١٨) .

الفصل الثالث

فضائل تتعلق بالشكر

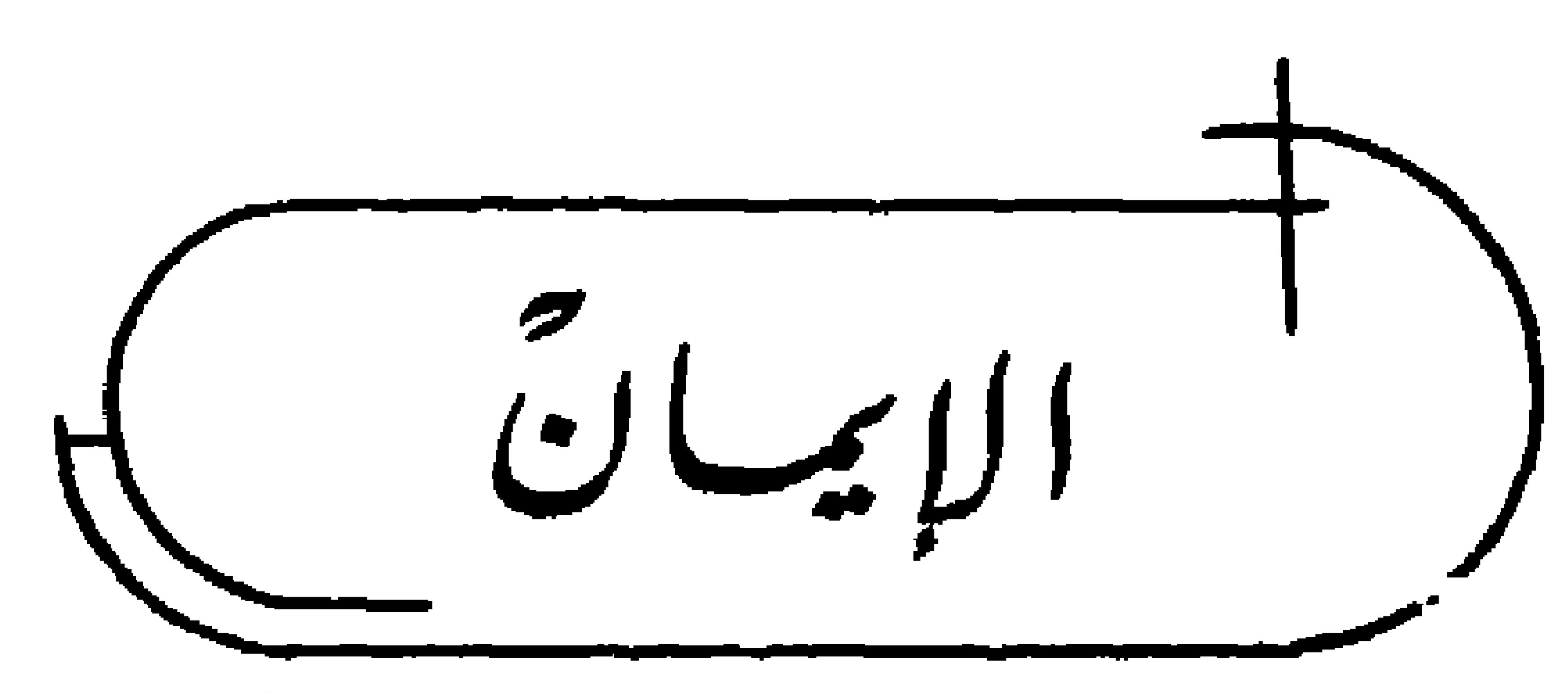
١ ـ الإيمان .

٢ ـ الصبر .

٣ ـ الإتضاع .

٤ ـ الهدف السليم .

٥ ـ فضائل أخرى .



إن حياة الشكر مرتبطة بفضائل أخرى تسبقها وتندمج معها . ومن أهم هذه الفضائل الإيمان... واقصد بالذات الإيمان بالله فى صفات معينة بدونها لا يمكن الوصول إلى حياة الشكر، وفى مقدمة ذلك :

الإيمان بالله كصانع للخيرات ، ومحب للبشر على كل شىء .

فهو يحبك كإنسان ، أكثر مما تحب نفسك، و يهتم بك من كل ناحية أكثر من أهتمامك بنفسك، ولذلك هو يصنع معك خيراً باستمرار، ولابد كمحب للبشر أن يصنع معك خيراً، حتى دون أن تطلب وهو قادر أن يعطيك كل ما يلزمك وما ينفعك، مهما كانت العقبات والعوائق . هو قادر على كل شىء .

وهو أيضاً ضابط للكل ، يرقب كل ما يحدث ...

ويحفظك من كل شر ، يحفظ نفسك، يحفظ دخولك وخروجك (مز ١٢١).

فالحرية التى وهبها الله للناس ، لا تعنى أنه تخلى عن ادراته للكون ، وترك كل إنسان يفعل كما يريد بلا ضابط. إنما الله يعطى الحرية و يراقب و يلاحظ كل شيء ، و يدبر الأمور بحسب مشيئته الصالحة ، و يغير ما يراه محتاجاً إلى تغيير. و يوقف بعض الأمور، ولا يسمح بأمور أخرى ، وكل هذا يحتاج إلى شكر...

هنا تشكر الله على تدبيره للكون وحفظك من الأشرار.

و يزول منك الخوف ، وتشعر بالاطمئنان إلى حماية الله... لأن الشر الذى تخشاه ، إنما يأتيك من مصادر ثلاثة : إما من الناس الأشرار، وإما من الشياطين ، وإما من نفسك ، أى من حريتك الشخصي التى تضر بها نفسك . والله كضابط للكل ، يهيمن على كل هذه المصادر، وما أكثر ما أوقفها لأجل خلاصك ، سواء كنت تدرى أو لا تدرى . فالله لا يمنح الحرية المطلقة لأحد ، وإلا هلك العالم... ! استمع إلى داود النبى يتغنى :

لولا أن الرب كان معنا ، جين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء ، عند سخط غضبهم علينا (مز ١٢٤) .

أشكر الرب إذن ، لأنه يحميك من الناس الأشرار «فلا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع ١٨ : ١٠) . وإن أصابك سوء فى يوم من

الأيام، فثق أن ذلك لفائدتك، وسينتهى بخير، وتنال من ورائه بركة. لذلك أشكر الرب على كل ما يأتيك، حتى من الشر الذى سيخرج الرب منه خيراً. هذا من جهة الناس الأشرار. وأيضاً...

حتى الشياطين ليسوا أحراراً حرية كاملة فيما يعملون...

إن الله لم يتركهم لهواهم، وإلا لأفسدوا وأهلكوا الأرض كلها..! أمامنا مثل واضح فى تجربة أيوب الصديق، وكيف أن الشيطان كانت حريته محدودة. إذ كان يقترح أموراً. والله يسمح له أو لا يسمح. ويضع له حدوداً وقيوداً معينة. قال له أولاً «هوذا كل ماله فى يدك. وإنما إليه لا تمد يدك» (أى ١ : ١٢). وفى المرة الثانية سمح له أن يمد يده إلى جسد أيوب، دون عقله ونفسه» (أى ٢ : ٦).

اشكر الله إذن، الذى قيد حرية الشيطان...

وهذا الأمر يمنحك السلام القلبى، فلا تخاف من الشياطين، ولا من أعوانهم من الناس الأشرار. والسلام وعدم الخوف نعمة أخرى تشكر الله عليها، وتقول فى ثقة «إن كان الله معنا، فمن علينا ؟!» (رو٨ : ٣١). وهكذا تعيش فى اطمئنان دائم. وهذا الإطمئنان هو أيضاً نعمة، تحتاج إلى شكر.

الإنسان المؤمن يعيش إذن فى سلام واطمئنان وثقة بعمل الله وعدم خوف . وتتحول حياته بهذا الإيمان إلى شكر دائم .

وهذا الإيمان الذى سبب له الشكر، هو أيضاً نعمة تحتاج إلى شكر.

إنه ينام فى حضن الله مطمئناً ، شاكراً عنايته، مهما كانت الظروف المحيطة به ضاغطة . وذلك لأنه ينظر باستمرار إلى عمل الله ، وليس إلى الظروف الضاغطة . و يقول مع داود النبى ، فى ملء الإيمان : «إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى» (مز٢٣) .

قد تقف ضد هذا الإيمان رؤيتنا البشرية القاصرة .

تقف ضد الإيمان ، وبالتالى لا تسمح بوجود الشكر، بل قد تسبب القلق والإضطراب والخوف ، والشعور ببعد المعونة الإلهية ! ولكن رؤيتنا البشرية قاصرة ومحدودة . لأنها تبصر فقط المشاكل الحالية ، ولا تبصر الحلول المقبلة ! تبصر الألم الحاضر، ولا تبصر فرح المستقبل . لذلك إذا عشت فى المشكلة تتعب . أما إن عشت فى الإيمان فسوف ترى حلولاً كثيرة ، فتفرح وتشكر الله .

هناك فرق كبير بين الإيمان والعيان .

العيان معناه أنك ترى الأشياء بعينيك، ولا تشكر إلا على الخير المحسوس الذى تراه بعينيك. أما فى الإيمان فإنك تشكر على الخير الذى تراه، ولكنك تؤمن أنه موجود، واثقاً بعمل الله...

الإيمان يرى ما لا تراه العين وما لا تدركه الحواس.

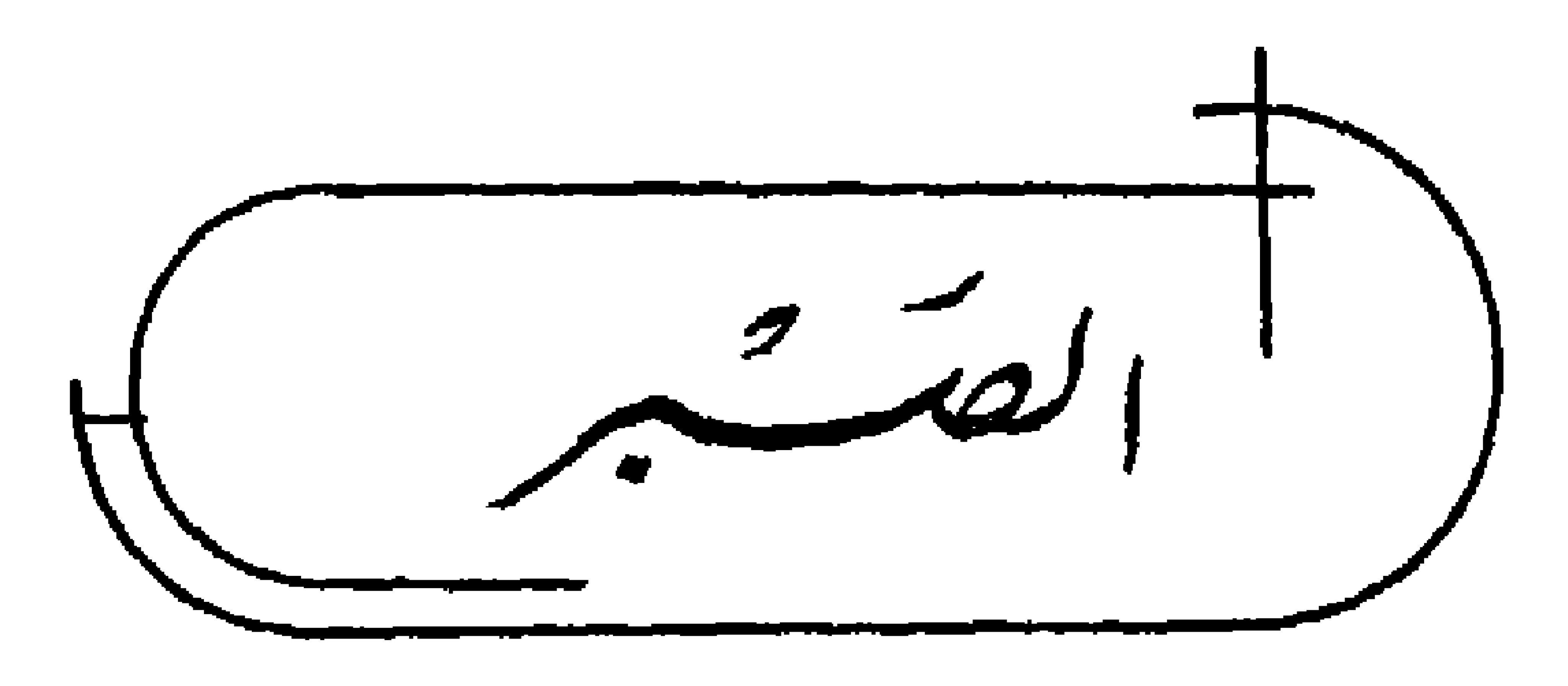
إنه يبصر عمل الله ونعمته القادمة ومعونته. و يرى عمل الله المقبل كأنه موجود الآن، و يفرح به و يشكر عليه. يرى ما ليس كائناً كأنه كائن. و يبصر الله يقوده فى مراع خضراء، ويحفظ دخوله وخروجه. الإيمان يقول مع الرسول:

«كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو٨: ٢٨).

ليتكم تحفظون هذه الآية، وتضعونها أمامكم باستمرار، فتكون لكم ينبوعاً للشكر. لاحظوا فى هذه الآية عبارة «للذين يحبون الله»... إن الذين يحبون الله، يشعرون بمحبته، و يصدقون مواعيده، لذلك هم يقمنون بكل يقين أن كل الأشياء تعمل معهم للخير، لأنها تحت ضبط الله محب البشر...

لذلك هم يعيشون فى فرح دائم، وفى شكر دائم، يتفقان مع محبتهم لله. **الإيمان يصدق بالحب كل شىء (١كو١٣: ٧).**

إنه يصدق أن الصخرة الصماء يمكن أن ينفجر منها الماء (خر١٧ : ٦). و يصدق أن الله يمكنه أن يشق له طريقاً فى البحر يسير فيه آمناً (خر١٤ : ٣١)، و يؤمن كذلك أن الله يُنزل له من السماء المن والسلوى ليأكل (خر١٦). كذلك بالإيمان يرى الله معه فى جب الأسود، ومعه فى أتون النار (دا٣ ؛ ٦).



المسألة كلها مجرد عامل زمن، ما بين الإيمان والعيان.

فأنت تؤمن بما لا يُرى بالحواس. وتعطى الله مدى زمنياً يريك فيه هذا الأمر بالعيان، بعد حين. وطوبى لمن آمن دون أن يرى (يو٢٠ : ٢٩).

بين الإيمان أنظر إلى المتاعب فى ضوء تدخل الله الذى يحولها إلى خير...

ينبغى أن يكون الإنسان صبوراً وطويل الأناة ليرى عمل الله.

لأن هناك أعمالاً تبدو متعبة ، ولكنها تتحول إلى خير فى مدى زمنى ، قد يطول أحياناً ، ويلزم الإنسان أن ينتظر الرب . والله لابد سيعمل ، فى الوقت المناسب الذى تحدده مشيئته الصالحة .

ولنأخذ مثالاً ما حدث ليوسف الصديق :

لقد بيع كعبد . ومع أنه سكت على ذلك ، وخدم كعبد بمنتهى الأمانة والإخلاص ، إلا أن تهمة رديئة لفقتها له إمرأة فوطيفار ، وإلقى بها إلى السجن . ومر وقت ، بدا أن الله قد تركه ولم يعمل على انقاذه . ولكن الله فى الوقت المناسب ، حول هذه التجربة إلى الخير ، واخرجه من السجن ليكون الوزير الأول فى مصر . إذن المسألة تحتاج إلى صبر ، وأن ننتظر الرب ، ونؤمن أنه قادر على أن يحول الشر إلى خير .

كذلك فى قصة مردخاى وهامان .

لقد مرّ وقت طويل لقى فيه مردخاى اضطهادات من هامان ، حتى أنه أعدّ له صليباً صخماً ليصلبه عليه ، بل تمادى فى ظلمه وكبريائه حتى كاد يهلك الشعب كله . ولكن فى الوقت المناسب تدخل الله لينقذ مردخاى والشعب بأجمعه . والصليب الذى أعده هامان لمردخاى ، صُلب عليه هامان نفسه (إس ٧ : ١٠) .

انظروا أيضاً الإضطهادات التى أثارت ديوقلديانوس على الكنيسة ...

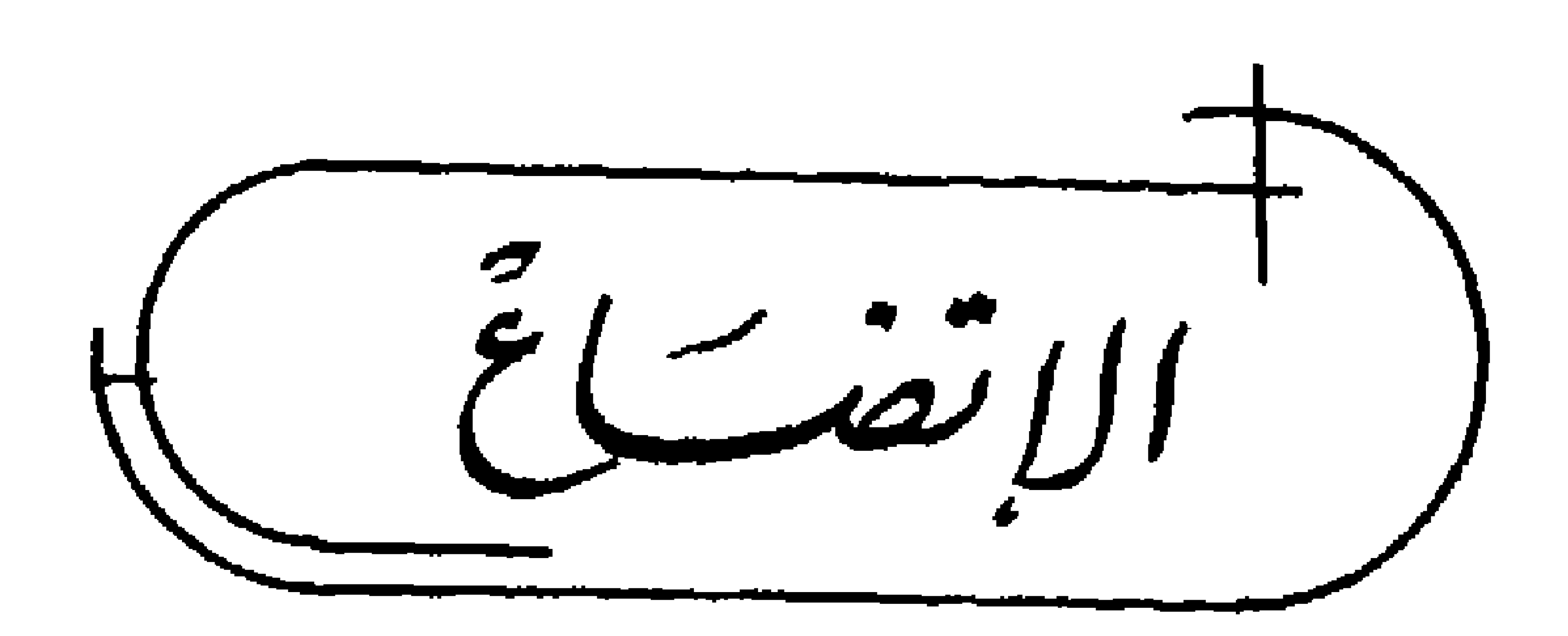
كان حاكماً فى منتهى القسوة، وقد سفك الكثير من دماء الشهداء. ولكن فى الوقت المناسب تدخل الله، وخلّص شعبه منه ديوقلديانوس الذى أنتهى نهاية رديئة. واصدر قسطنطين مرسوم ميلان سنة ٣١٣م وسمح بالحرية الدينية. واستفادت المسيحية من الاضطهادات عمقاً فى الروحيات وثباتاً فى الإيمان.

لا توجد مشكلة تستمر إلى الأ بد ...

لابد أنها ستنتهى فى يوم ما. والمسألة تحتاج إلى صبر مؤسس على الإيمان. أنظروا مثلاً إلى تجربة أيوب: كانت شديدة جداً، وامتدت حتى شملت كل أمواله و وبنيه وبناته، وصحبته، ونظرة اصدقائه وزوجته إليه، واستمرت مدة، ثم أنتهت إلى خير وإلى أفضل. وهكذا قال معلمنا يعقوب الرسول «ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب» (يع ٥: ١١) «وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه... وعاش أيوب بعد هذا مائة واربعين سنة، ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال» (أى ٤٢: ١٢- ١٦)...

واستفاد أيوب فوائد روحية من تجربته تستدعي الشكر.

كما أستفاد خيراً كثيراً فى دنياه. وكذلك فى القصص السابقة ما أعظم الفوائد التى نالها مردخاى والشعب، والتى نالها يوسف واخوته، والتى ما كان ممكناً الحصول عليها إلا بالتجربة الضيقة. ولكن بالإيمان والصبر نرى مقاصد الله، ونحصل على الخير والبركة.



لكى تستطيع أن تحيا حياة الشكر فى عمقها، يلزمك أن تحيا حياة الإتضاع وانسحاق القلب.

الإنسان المتضع يشعر أنه لا يستحق شيئاً...

لذلك فهو يشكر على كل شىء...

كل ما يُعطى له من الله - مهما كان قليلاً - يشكر عليه، ويفرح به، شاعراً فى عمق أعماقه أنه لا يستحقه...

أما المتكبر ، فإنه على عكس ذلك ، يظن فى نفسه أنه يستحق أشياء كثيرة ، أكثر مما عنده ، فيتذمر على ما هو فيه ... إن نال منصباً كبيراً ، ربما لا يشكر ، لأن يعتقد فى نفسه أنه أهل لمنصب أكبر وأكبر. وإن مدحه البعض ، ربما يظن أن هذا المديح أقل من مستواه . أما المتضع فإنه يخجل من أقل كلمة مديح يوصف بها ، لأنه يعرف ذاته ...

المتضع لا يشعر فقط أنه لا يستحق شيئاً من الخير، بل أكثر من هذا يرى أنه مستحق لعقوبات شديدة من الله وتأديبات عنيفة ...

لذلك إن اصابته البلايا ، فيقول أنا استحق أكثر من هذا بسبب خطاياى . ويشكر قائلاً : إنها رحمة من الله أن يعاقبنى بأقل مما استحق . وخير لى أن أعاقب هنا على الأرض أفضل من العقوبة الأبدية » .

مثال ذلك : لو أن مجرماً ارتكب جريمة قتل بشعة ، وحكم عليه القاضى -نظراً لظروفه النفسية- بالأشغال الشاقة المؤبدة . مثل هذا المجرم ، ما أن يسمع الحكم عليه ، حتى يرفع صوته بالشكر ، لأنه فى يقينه يرى أنه مستحق للإعدام ، وقد عامله القاضى بكل رحمة ... بل أنه يشد على يد محاميه بحرارة و يقول له : أشكرك يا أستاذ على

المجهود الكبير الذى بذلته من أجلى ، حتى حُكم علىَّ بالأشغال الشاقة المؤبدة . كانت رأسى على وشك الدخول فى حبل المشنقة . ولكنك أنقذتنى ...

هكذا المتضع يرى باستمرار أن عقوباته أقل من استحقاقه .

كلما تأتيه الضيقة أو مشقة أو بلية ، يقول : اشكرك يارب لأنك حنون جداً وتعاملنى بأقل من عقوبة خطاياى . يا لشفقتك العجيبة ! حقاً يا رب إن يدك علىّ لا عصاك ...

يقول هذا من يعرف نفسه جيداً ، ومن يدرك ثقل خطاياه ، وما تستحقه من العدل الإلهى .

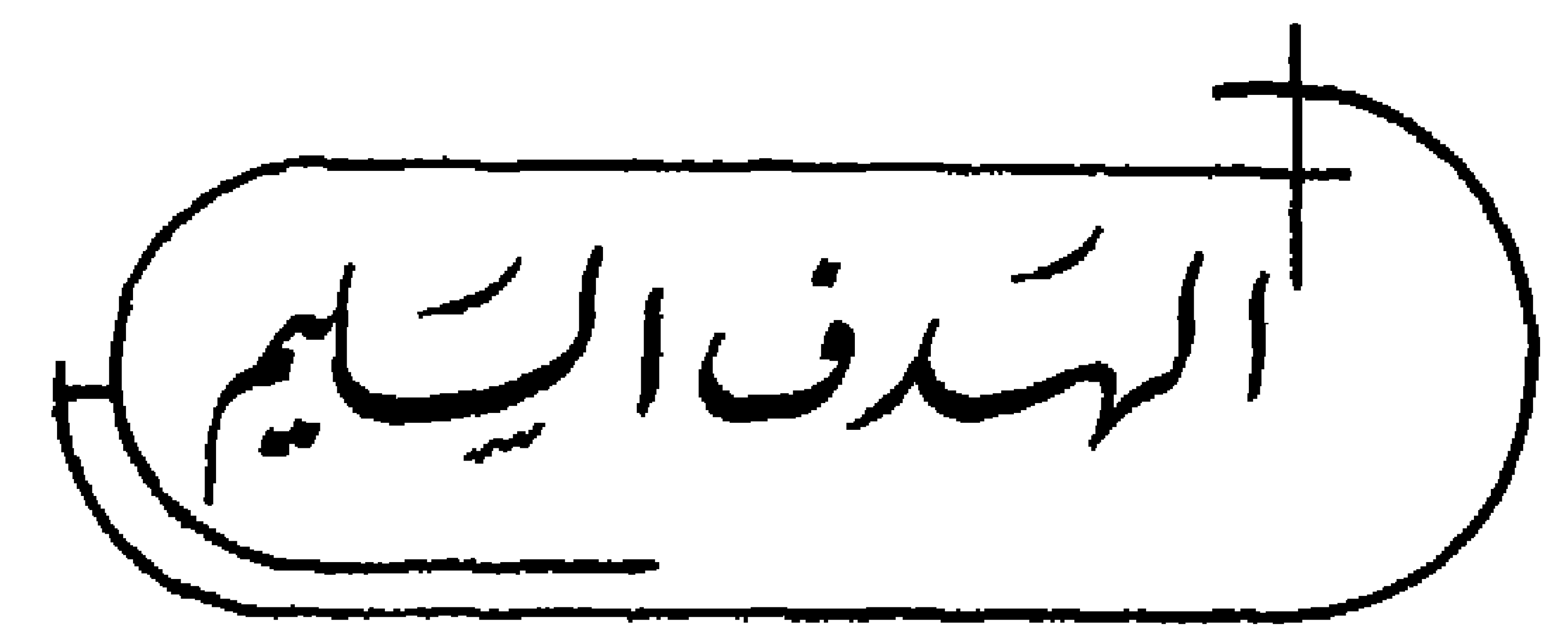
وقد يعترض البعض ويقول : ماذا لو اعطيت له عقوبة لا تُحتمل ؟!

مثل مرض من الأمراض المؤلمة التى لا تحتمل ...

كيف يشكر الله إذن ، وهو فى شدة الألم ؟!

نقول إن عذابات الأرض مهما كانت شديدة ، إلا أنها محدودة ومؤقتة . وهى أفضل من العذاب الأبدى فى شدته وديمومته .

ومع ذلك حتى فى مثل هذه الأمراض، يعطى الرب احتمالاً وصبراً...



كثيراً ما تكون للبعض أهداف عالمية أو مادية، يحزن إن لم يصل إليها، ولا يستطيع أن يشكر الله فى وسط تمسكه بهذه الأهداف.

أما الإنسان الروحى فله هدف واحد هو الله.

لذلك لا يبالى بالدنيا ، إن أقبلت أو أدبرت ، ولا يهتم بكل ما فيها من أغراض زائلة، ولا يحزن إن لم يحصل على ملاذها. وفى اكتفائه بالله، يشعر بسعادة كبيرة يشكر الله عليها. وقد يكون محروماً من أشياء كثيرة يتمتع بها غيره. ومع ذلك فهو راضٍ وشاكر وسعيد، بحياته مع الله.

وهنا نقول إن حياة الزهد توصل إلى حياة الشكر.

أو قل إن محبة الله التى تؤدى إلى هذا الزهد فى الدنيا، هى

التى توصل إلى حياة الشكر. وهكذا عاش آباؤنا الرهبان والنساك ليس لهم من الدنيا شيء، ومع ذلك يعيشون فى فرح وشكر. وبنفس الوضع، نرى القديس بولس الرسول عن نفسه وعن معاونيه فى الخدمة:

« كفقراء ، ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شيء لنا ، ونحن نملك كل شيء» (٢كو٦ : ١٠) .

العالم يرانا كأن لا شيء لنا ، ويرانا كفقراء. بينما نحن نملك كل شيء، لأن الله الذى معنا هو كل شيء لنا ، هو الكل فى الكل. ذلك نبدو أمام الناس «كحزانى، ونحن دائماً فرحون»

إذن حياة الشكر يلزمها قيم ومقاييس روحية .

وبدون هذه القيم والمقاييس الروحية لا يستطيع إنسان أن يصل إلى الشكر الدائم الحقيقى، ولا إلى الفرح الكامل الروحى. إن وجدت نفسك لا تشكر، ارجع إلى مقاييسك لتصلحها. ربما فكرتك عن السعادة غير سليمة ...

* * *

هناك فضائل أخرى ترتبط بالشكر تحدثنا عنها .

مثل الفرح ، والسلام ، والعزاء الداخلى وسط الضيقات، والعزاء الخارجى أيضاً، وما يتركه من قدوة. وحياة التسليم لله.



الفصل الرابع
لماذا
نشكر؟!

(١)

من الأسباب الهامة فى عدم الشكر، أننا لا نعرف ما هو الخير لنا ...

وقد نظن الأمر شراً ، فلا نشكر عليه ، ويكون هو الخير بعينه ، أو هو الوسيلة التى توصل الخير لنا، ونحن لا ندرى ... !

وسنحاول فى هذا المجال أن نعرض أمثلة كثيرة من الكتاب ، وبعضها من التاريخ ، لإثبات هذه الحقيقة ...

وصدقونى أن الله وحده بحكمته الواسعة التى لا تحد ، هو وحده الذى يعلم ما هو الخير لنا . أما حكمتنا نحن البشرية فلا تدرك ، لأنها حكمة محدودة وقاصرة ، ولأنها لا تبصر ما هو قدام .

خذوا مثالاً لذلك سجن يوسف الصديق .

من كان يظن أن إلقاء يوسف فى السجن ظلماً وهو بار، وبيعه كعبد قبل ذلك ، كل ذلك سيؤول إلى خيره ، وخير أخوته وأبيه ، وخير مصر كلها والبلاد المحيطة ... ! بينما لو أن أخوته لم يبيعوه ، لظل راعياً إلى جوار بيت أبيه ، وما حدث له كل ذلك

الخير... ! وكذلك لو أن إمرأة فوطيفار لم تتهمه ظلماً ، لبقى عبداً فى بيت فوطيفار وليس أباً لفرعون ... !

ربما يوسف الصديق ما كان يشكر ، حينما بيع كعبد ، وحينما اتُّهم ظلماً وألقى فى السجن... ولكنه بلا شك قد شكر أخيراً ، وعرف أن الله « قصد به خيراً... ليحيى شعباً كبيراً » (تك ٥٠ : ٢٠) .

★ ★ ★

مثال آخر هو هروب العذراء بطفلها إلى مصر.

آكان هذا الهروب من سيف هيرودس وبطشه وظلمه أمراً يستحق الشكر؟! لابد أننا نشكر الله على ذلك من أعماقنا . لأنه بهذا الهروب تباركت أرض مصر، وصارت لنا مواضع مقدسة وطأتها أقدام المسيح والعذراء ، وصارت فيها كنائس فيما بعد...

نحن لا ندرى المستقبل ماذا يكون ... ولكننا ندرى أمراً واحداً، وهو أن المستقبل فى يد الله .

وإننا نشكر الله لأنه وضع المستقبل كله فى يديه ، يدبره بمشيئته الصالحة ، ويصنع فيه خيراً لأولاده ... لذلك نثق بكل ما يأتى ، لأنه من عند الله يأتى ... من يد الله المملوءة حباً ...

حقاً إن القلب الكبير يفرح بكل شيء ، و يشكر الله على كل شيء ولا يتضايق أبداً من شيء، مهما كانت الأمور... ولعلكم تذكرون ما قلته لكم قبلاً عن معنى الضيقة :

إن الضيقة سميت ضيقة ، لأن القلب ضاق عن أن يتسع لها . أما القلب الواسع فلا يتضيق بشيء ...

عنده مصفاة الإيمان، يدخل فيها كل شيء... و يعبر. و بالإيمان يرى يد الله فى كل ما يقابله من أحداث ، فيتعزى بعمل الرب ، و يفرح و يشكر.

* * *

حديث القديس . أوغسطينوس عن المبتدعين والهراطقة :

أولئك الذين حاربوا الإيمان بكل عنف ، وسببوا متاعب كثيرة للكنيسة . يقول عنهم القديس أوغسطينوس «إننا نشكر الهراطقة . لأنهم فيما قدموه من شكوك حول الكتاب ، جعلونا نبحث فى الكتاب أكثر، ونتعمق أكثر، ونكتشف كنوزاً ما كنا من قبل نعرفها ... » .

* * *

بنفس المنطق نتكلم عن الفلسفة الوثنية التى قاومت المسيحية :

وبخاصة فى أيامها الأولى . هذه المقاومة كانت بركة نشكر الله عليها . لأنه بسببها تأسست مدرسة الأسكندرية الأولى ، بكل ما قدمت للعالم من معرفة روحية وكتابيه ، وبكل ما قدمته من علوم اللاهوت والفلسفة المسيحية التى خدمت الإيمان... ونحن نفتح قلوبنا لعمل الله شاكرين ، إذ أنه يجعل كل الأمور تؤول لمجد إسمه . ونفرح بيده التى تمسك التاريخ ... ونشكره .

★ * ★

امثال آخر : دماء الشهداء . أكانت خيراً يُشكر عليه ؟

نعم ، لأننا نقول إن دماء الشهداء ، كانت بذار الإيمان . وبها أنتشر الإيمان أكثر ، بما كان الناس يرونه من شجاعة ، وما كانوا يسمعونه من كلماتهم العميقة الواثقة ، وما كان يحدث أثناء استشهادهم من معجزات . وكذلك كيف كانوا يقابلون الموت بفرح عجيب حتى أن أحدهم قبّل السلاسل بفرح ...

القديس أغناطيوس الأنطاكى عاتب أهل رومه على محاولتهم أنقاذه من إلقائه إلى الأسود الجائعة !

وارسل لهم رسالة مشهورة قال لهم فيها « يا اخوتى ، اخشى أن محبتكم تسبب لى ضرراً ، وقد وصلت إلى نهاية المطاف ، وأنتم تريدوننى أن أركض شوط حياتى من جديد » . وترك نفسه للأسود تفترسه فى ثوان. وكان درساً عجيباً للأجيال ، تذكره فتشكره ، وظهر بعد استشهاده لزملائه فى السجن يشجعهم ويقويهم... وهكذا كان استشهاده بركة . أترانا نبكى على مَنْ مات شهيداً ؟! كلا ...

بل نفرح له لأنه نال الاكليل ، ونشكر الله الذى أعانه ...

ونقول له تلك العبارة المعروفة فى صلوات الجناز « الله يعيننا كما أعانك .. » .

★ ★ ★

بنفس الوضع نتكلم عن المعترفين ، والذين تشتتوا بالاضطهاد لأجل الإيمان . ونذكر ما قيل فى سفر أعمال الرسل :

« الذين تشتتوا ، جالوا مبشرين بالكلمة » (أع ٨ : ٤) .

تشتتهم كان من الآلام التى أصابت الكنيسة ، ولكنه فى نفس الوقت كان بركة . لأنهم كانوا شعلات ملتهبة بالنار ، لما أنتقلت إلى بلاد أخرى من العالم ، صيرتها لهيباً ، وأنتشر الإيمان

بتشتتهم ... أليس هذا أمراً نشكر الله عليه ...

هناك أمر يكون خيراً فى ذاته . وأمر آخر يكون خيراً فى نتائجه ، وعلى الأمرين نشكر. كلاهما للخير.

لقد أستطاع أن يحول الاضطهاد إلى خير، ويحول التشتت إلى كرازة وإيمان ، وتأسست كنائس كثيرة فى كل مكان. نشكره على ذلك ، ونقدم التسليم الكامل لإرادته المقدسة المملوءة خيراً .

(٢)

مشكلتنا فى عدم الشكر ، أننا لا ننظر إلى قدام .

إنما ننظر إلى تحت أقدامنا فقط ، إلى مجرد الواقع الذى نعيشه ! دون النظر إلى بعيد ، إلى ما سوف يحدث فيما بعد... ولا نلتفت مطلقاً إلى هدف الله من هذا الأمر الذى يتعبنا ، أقصد هدفه المفرح لنا ... وسوف اضرب لهذا مثالين :

ولادة إنسان أعمى : أكانت خيراً نشكر عليه ؟!

حتى التلاميذ ظنوه عقوبة ، فقالوا بجهل «هل أخطأ هذا الإنسان أم أبواه ؟ » متأثرين بأفكار خاطئة نُقلت من العالم الوثنى عن طريق الرحلات... أما السيد المسيح فوضع أمامهم التدبير

الإلهى الذى يستحق كل شكر، فقال لهم «لا أخطأ هذا ولا أبواه . لكن لتظهر أعمال الله فيه» (يو٩ : ٣) .

لولا ولادته أعمى ، ما كانت تحدث هذه المعجزة العظيمة فى حياته ، وتكون نتائجها إيمانه بالرب وسجوده له ودفاعه عنه... وصارت له عينان روحيتان مفتوحتان تريان ما لا يرى ... وهكذا دخل الرجل إلى التاريخ ، وظهرت أعمال الله فيه ، وكانت سبباً لايمان الكثيرين . وهذا أمر نشكر الله عليه .

ولكننا للأسف لا نشكر ، إلا بعد أن نرى النتائج !

أما الايمان ، فيعطى الثقة بأنه لابد أن يكون هناك خير ما ، سواء رأيناه أم لم نره... وطوبى لمن آمن دون أن يرى» (يو٢٠ : ٢٩) ... وطوبى لمن يرى بالايمان ما لا يُرى (عب ١١ : ١) .

مثال آخر هو موت لعازر أخى مريم ومرثا :

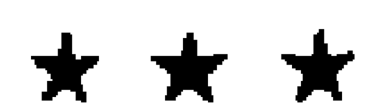
أكان مرض لعازر وموته أمراً يدعو إلى الشكر؟! واضح أن مريم بكت ، واليهود الذين جاءوا معها بكوا أيضاً ، وعاتبت الرب قائلة «يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخى» (يو١١ : ٣٢، ٣٣) . وبنفس العبارة عاتبته مرثا (يو١١ : ٢١) . ومع ذلك فإن هذا كله كان «لأجل مجد الله، ليتمجد إبن الله به» (يو١١ : ٤) .

لو عرف الناس ما سيفعله الرب بعد موت لعازر، لشكروا على مرض لعازر وموته، ليظهر مجد الله.

لأنه كم أنتشر الإيمان بإقامة لعازر بعد أربعة أيام من موته (يو١١: ٤٥)... وهذا أمر يدعو إلى الشكر بلا شك... ولكن الناس ما كانوا يشكرون لما مرض لعازر ومات! فلماذا؟ ذلك لأن رؤيتنا البشرية قاصرة... كل ما تستطيعه أنها تذهب إلى القبر، حيث دفنوا لعازر، وتقف خارج القبر تبكى!

أما الإيمان فيمتد إلى أربعة أيام بعد هذا.

فيرى لعازر خارجاً من القبر ملفوفاً بأقمطة...! ويرى مجد الله، وإيمان الناس، فيشكر...



مثال آخر، وهو مجاعة مصر أيام يوسف:

لا يوجد أحد يشكر على حدوث مجاعة...! ومع ذلك كانت تلك المجاعة للخير. إذ أنها اظهرت بر وحكمة يوسف الصديق. وقدمت لنا أحلاماً ورؤى من الله، حتى لفرعون. وكانت تلك المجاعة خيراً وبركة، فبسببها ألتقى يوسف مع أبيه، ومع أخوته،

وتصالح معهم، وعالهم فى أرض جاسان... وكانت فرصة أن ينال إبناه بركة يعقوب أبيه... أليست كل هذه الأمور أسباباً نشكر الله عليها ؟! أما عن المجاعة، فقد دبر الله أمر علاجها، بأن سبقتها سبع سنوات من الشبع والخير، تم فيها تخزين ما يلزم لسنوات الجوع. وهذا أيضاً تدبير إلهى يستحق الشكر أيضاً... وكل الأمور تعمل معاً للخير...

★ ★ ★

فلنتأمل أيضاً الشكوك التى حامت حول البابا ديمتريوس الكرام.

أنه أمر يبدو سيئاً فى ذاته. ولكن هذه الشكوك عينها، كانت السبب فى اظهار قدسية هذا البابا العظيم، وأظهرت للناس بره وعفته وبتوليته. كما كانت مناسبة تدخلت فيها يد الله بمعجزة. وتعيد الكنيسة لذلك اليوم فى السنكسار(   ).

ولاشك أن الشعب كله شكر الله، كما شكره البابا ديمتريوس وزوجته، وتحولت الشكوك إلى تمجيد، وتحول يوم الألم إلى يوم عيد...

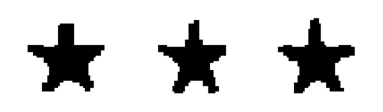
★ ★ ★

نتحدث بهذه المناسبة عن متاعب داود النبى :

من كان يظن أن متاعب داود النبى - سواء مع شاول أو أبشالوم أو غيرهما - ستؤول إلى هذه المزامير الجميلة العميقة ، التى تعزينا جميعاً ...؟! إن داود فى متاعبه ، كان يغنى هذه المتاعب على العود والمزمار، وعلى العشرة أوتار. كان يخلط متاعبه بمزماره ومزاميره . و بدلاً من أن يسكب نفسه حزناً ، كان يسكبها لحناً . وقد ترك لنا هذا الكنز العظيم من أغانيه . ألسنا نشكر الله على كل هذا ؟! وهو أيضاً فى كل متاعبه كان يشكر و يقول :

« أبارك الرب فى كل وقت ، وفى كل حين تسبحته فى فمى » (مز٣٤ : ١) .

« بالرب تفتخر نفسى ... عظّموا الرب معى . ولنرفع إسمه معاً » (مز٣٤ : ٢ ، ٣) و يقول أيضاً « باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى ليبارك إسمه القدوس . باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى كل احساناته » (مز١٠٣ : ١ ، ٢)... إنه فى كل متاعبه يسبح الرب بتسبيحة جديدة ، و يغنى له أغنية شكر...



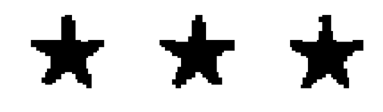
درسان آخران من حياة موسى النبي :

من كان يظن أن وضع الطفل موسى فى سفط ، والقاءه على حافة النهر، خوفاً من قتله (خر٢ : ٣)... كل ذلك يؤول إلى مجد ، و يصير هذا الطفل إبناً بالتبنى لإبنة فرعون ، و يتربى فى قصر! أليس هذا درساً فى عناية الله ، نشكره عليه ...

ومن كان يظن أن هروب موسى إلى البرية خوفاً من فرعون ، سينتهى إلى تعلمه الرعاية والهدوء فى البرية . وأيضاً سينتهى بعد فترة ، إلى أن يظهر الله له فى البرية ، فى عليقة مشتعلة بالنار (خر٣) ، و يدعوه لخدمته ، و يصير نبياً من أعظم الأنبياء ، وقائداً لشعب ... إنها أمور تذكرنا بقول الكتاب :

ونهاية أمر خير من بدايته (جا ٧ : ٨) .

فلا تزعجنا إذن البدايات الصعبة ، ولننظر كيف ينهى الله الأمور. وسنجدها نهاية سعيدة ، نشكره عليها ... ولعله من الأمثلة البارزة فى الكتاب لهذه الأمور: مؤامرة هامان ...



درس من كبرياء هامان ومؤامرته :

كان هامان متكبراً ، وتضايق من مردخاى لأنه لم يخضع لكبريائه . وأعد مؤامرة يصلب بها مردخاى ، وإبادة الشعب كله . إنها بداية مزعجة ، ولكن فلننتظر قليلاً لنرى كيف أنتهت ... لقد صام الشعب كله بقيادة استير ، وكانت فترة روحية تقرب فيها إلى الله . وتدخل الله فى الأمر ، وأنقذ الشعب كله . والصليب الذى أعده هامان ليصلب مردخاى عليه ، صُلب هو عليه . أما مردخاى فقد نال اكراماً ما كان يتصوره (اش ٦ ، ٧) ...

وهكذا تحولت الأمور إلى العكس تماماً ، من الصلب إلى المجد .

مبارك هو الرب فى كل ما يفعله . مباركة هى يده التى تتدخل ، وتدير دفة السفينة إلى المسار الذى يريده هو ، بمشيئته الصالحة الطوباوية ...

* * *

درس آخر من تجربة ذبح اسحق :

لاشك أنها كانت تجربة صعبة على أبينا ابراهيم أن يقدم إبنه وحيده الذى تحبه نفسه ، محرقة ... (تك ٢٢ : ٢) . ولكنها كانت

للخير، لأنها اظهرت طاعة ابراهيم، واظهرت أيضاً إيمانه، لأنه «بالإيمان قدّم ابراهيم اسحق وهو مجرّب ... إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات» (عب ١١ : ١٧، ١٩). وهكذا ظهر بره، إذ تبرر بالأعمال فى طاعته وتقديم إبنه (يع ٢ : ٢١) وأيضاً «آمن ابراهيم بالله فُحسب له براً» (يع ٢ : ٢٣)... واستحق ابونا ابراهيم بهذه التجربة أن ينال البركة من الرب له ولنسله، فقال له الرب «أباركك مباركة، وأكثر نسلك... ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض» (تك ٢٢ : ١٦-١٨). وأعطانا الرب فى هذه التجربة مثالاً رائعاً للطاعة والإيمان نشكره عليه...

كانت التجربة إذن بركة لإبراهيم ولنسله ولنا.

وكانت درساً ومثالاً وقدوة لكل الأجيال على الأرض، سواء من جهة ابراهيم، أو من جهة إبنه اسحق، الذى صار رمزاً للسيد المسيح، الإبن الوحيد للآب (يو٣ : ١٦) الذى أطاع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٨).

ل - مثال للشكر، هو سجن بولس الرسول:

أترى يشكر أحد على سجنه؟ نعم، إن الإنسان المؤمن يشكر على كل شىء. لقد سيق بولس وسيلا إلى السجن، بعد أن ضُربا

بضربات كثيرة، والقيا فى السجن الداخلى، وضبطت أرجلهما فى المقطرة. ومع ذلك كانا يسبحان الله، والمسجونون يسمعونهما (أع١٦: ٢٣- ٢٥).

وكانا سجنهما بركة ... أراد به الله إيمان سجان فيلبى.

هذا الذى نال فى الحال نعمة العماد هو والذين له أجمعون... وتهلل مع جميع بيته (أع١٦: ٣٣، ٣٤). أليست هذه أموراً نشكر الله عليها... كما أن القديس بولس الرسول كثيراً ما وجد فى السجن فترة هادئة، كتب فيها بعض رسائله وهو فى السجن...

(٣)

من الأسباب التى تمنع الشكر، عدم تذكرنا لإحسانات الله إلينا.

سواء على المستوى العام، أو فى الحياة الخاصة لكل منا. عيبنا أننا ننسى بسرعة ولا نذكر. لذلك فإن داود النبى يذكّر نفسه بهذه الأمور، و يقول فى مزموره «باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى ليبارك إسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته» (مز١٠٣: ١، ٢). وظل يتذكرها واحدة فواحدة ... أنصحكم بقراءة هذا المزمور وحفظه. وليكن دافعاً لكل منا أن يتذكر إحسانات الله إليه...

فى سنة ١٩٧٤ كان مرض الكوليرا منتشراً ، وكان يحصد بالآلاف . وأُغلقت كثير من المدن ، خوفاً من انتقال العدوى . وكان الرعب حالاً فى البلاد ... دخلت مرة فى إحدى هذه المدن المغلقة بتصريح رسمى بعد التطعيم ضد الكوليرا طبعاً . فلم اسمع فيها أحداً يضحك ولا يبتسم . ولم يكن فيها صوت راديو ولا أغانى . كانت المدينة حزينة مكتئبة . وكثيرون كانوا يصلّون بعمق ، و ينذرون نذوراً « لو أنقذتنى يارب أصير وأصير... أفعل وأفعل » ... وأنقذنا الله من الكوليرا ، وعشنا إلى الآن . فمن منا يشكر الله على هذا الإنقاذ ... ومثله كل الإنقاذات الأخرى من الأو بئة والجفاف وسائر الأمراض ...

ما أكثر الذين نسوا احسانات الله ، ونسوا معها وعودهم ونذورهم !

ليتنا نجلس كل يوم إلى أنفسنا ، ونذكر إحسانات الله إلينا وإلى اسراتنا وأصدقائنا ومعارفنا ، ونحفظ ذلك فى ذاكرتنا أو فى مفكرة ونشكر الله . إن الشعب فى البرية احتفظوا بجزء من المن ، لكى يذكروا إحسان الله (خر١٦ : ٣٢- ٣٤) . وأقاموا حجارة فى الأردن ليذكروا شقه وعبوره (يش ٤ : ٤ - ٨) فيشكروا الله ...

عندما ننسى إحسانات الله ، يقل شكرنا ، وتقل محبتنا .

وهذا طبيعي . لأنك كلما تذكر جميل أحد عليك ، تحبه . وإن نسيت ، فإنك تفقد سبباً يدفعك إلى الحب والشكر. كم موظف نسي أن الله ساعده فى الحصول على وظيفة ؟! وكم زوجة نسيت أن الله وفقها فى الإرتباط بزوج ؟ وكم إنسان نسى أن الله ساعده فى حل مشكلة ، أو فى الخروج من مأزق محرج ... ؟

(٤)

وأحياناً لا نشكر ، لأننا ننسب الخير إلى غير الله :

ننسب الخير الذى نلناه إلى مقدراتنا الشخصية ، أو إلى من ساعدنا من الناس ! أو إلى الظروف المحيطة . وننسى فى كل ذلك أن مقدراتنا هى أيضاً موهبة من الله وأنها وحدها ما كانت تستطيع بدون معونة الله وتدخله . كما أن الذين ساعدونا ، هو الله الذى تكلم فى قلوبهم من جهتنا . وكذلك فإن الظروف المحيطة بنا ، لا يمكن أن نفصلها عن التدبير الإلهى ...

(٥)

ونحن أحياناً لا نشكر ، لأننا نذكر السيئات أكثر من الحسنات !

عندما نصفى حساباتنا ، تختفى أمامنا النقط البيضاء التى تحتاج إلى شكر، وتقف أمامنا الضيقات والمتاعب ! أو نذكرها ، ونبالغ فيها ، فنتعب... هناك نوع من الناس ـ للأسف الشديد ـ لا يفتكر إلا النقط السوداء فى حياته . وهكذا ـ ليس فقط يفقد الشكر ـ إنما أيضاً تضغط عليه الكآبة ، ويملكه الحزن . إنه نوع سوداوى . بعكس الذين يعيشون فى فرح ورجاء ، يذكرون خير الله ونعمته و بركته ، فى كل وقت ، و يشكرون ...

(٦)

وقد يكون عدم الشكر ، سببه عدم القناعة .

إن القنوع دائماً يشكر ، مهما كان الذى معه قليلاً . أما غير القنوع ، أو المحب للكثرة ، فإنه مهما أعطاه الله ، لا يكتفى ولا يشكر! ولا يرضى عما هو فيه ، وباستمرار يريد أكثر ، لذلك لا يشكر!

قد يتحول الطموح عند إنسان إلى طمع ، فيفقده الشكر!

هناك خط رفيع يفصل بين هذه الأمور، يلزم الإنسان أن يعرفه ، ويحتاط . قد ينجح طالب بامتياز، ويحصل على ٩٠٪

فيحزن لأنه كان يريد أن يحصل على ٩٥٪ على الأقل، أو يكون الأول أو من الخمسة الأوائل. المفروض أنه يفرح و يشكر، لأنه نجح وحصل على امتياز. ولا مانع من الطموح إلى أكثر. ولكن ليس على حساب الفرح والشكر.

(٧)

وقد يفقد إنسان حياة الشكر، بسبب تعوده التذمر:

والتذمر قد يتحول عند البعض إلى مرض نفسي. فهو دائماً يتذمر ويحتج و يشكو، مهما كان حاله! لا يعجبه شيء، ولا يرضى عن شيء. وبالتالى طبعاً لا يشكر... إنه مرض روحى ونفسي واجتماعى، يحتاج إلى علاج...

بعكس ذلك الذى يتعود الشكر، حتى يصبح طبعاً فيه. يشكر الله، و يشكر الناس، و يشكر على كل شيء.

(٨)

وقد يفقد إنسان الشكر، لأمراض روحية ونفسية أخرى.

غير التذمر، وغير الطمع ومحبة الكثرة والنصيب الأكبر... أمراض مثل القلق واليأس والكآبة والاضطراب والخوف على

المستقبل، والخوف عموماً، وبعض العقد النفسية الأخرى... المصاب بمثل هذه الأمراض، من الصعب أن يشكر. إنه باستمرار مهموم وحائر. وإن دعوته إلى حياة الشكر، يقول لك فى تعجب وفى ضيق «على أى شىء اشكر؟! أما يكفى ما أنا فيه؟!».
مثل هذا الإنسان يحتاج إلى علاج...

إن عدم الشكر يتعب النفس. كما أن تعب النفس يبعد الشكر.

الإنسان الشاكر لا يحتاج إلى حبوب مهدئة ومسكنة. سلامه القلبى يغنيه عن كل هذه... أما غير الشاكر، فإن نفسيته باستمرار فى تعب. وتعبه النفسى يبعده عن الشكر بالأكثر...

(٩)

كثيرون لا يشكرون، لأنهم يكتفون بالفرح:

يأتيهم الخير، فيفرحون به. ويقفون عند هذا الحد. لا يفكرون فيمن أرسل الخير إليهم ليشكروه عليه! إنهم للأسف مركزون حول أنفسهم وحول احتياجاتهم. يهمهم قضاء هذه الاحتياجات. أما من يقضيها لهم فلا يفكرون فيه! أليس فى هذا نوع من الذاتية؟... أما أنت فلا تتمركز حول ذاتك. وإنما كلما

يأتيك خير، أنظر إلى مصدر هذا الخير واشكره . لا تكن مثل العشرة البرص الذين فرحوا بالشفاء ولم يرجعوا ليشكروا (لو١٧ : ١٢-١٨) . لا تلتفت فقط إلى العطاء ، دون أن تنظر إلى المعطى .

(١٠)

من الأمور المهمة فى شعور الإنسان بالخير وبالشر، وما يترتب على ذلك من شكر أو تذمر، رغباتنا الداخلية ونوع تقييمنا للأمور.

كتب القديس يوحنا ذهبى الفم مقالاً جيلاً عنوانه «لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً ، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه» . وفى الواقع بدون فهم هذا الموضوع لا نستطيع التخلص من تأثير مضايقات الآخرين لنا ، التى تفقدنا حياة الشكر، وتوقعنا فى التعب النفسى...

حقاً ، ما الذى يستطيع إنسان -أو حتى شيطان- أن يضرك به ؟

إنك لو كنت إنساناً باراً قديساً تحب الله ، فلن يكون لك سوى هدف واحد فقط هو الإلتصاق بالله . وهذا لا يستطيع إنسان أن يضرك فيه... وكما قال الرسول «من سيفصلنا عن محبة المسيح :

أشدة أم ضيق أم اضطهاد، أم جوع أم عرى، أم خطر أم سيف؟ ... فإنى متيقن أنه لا موت ولا حيوة، ولا ملائكة ورؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع» (رو٨: ٣٥- ٣٩). إذن إن جعلت هدفك فى الحياة هو محبة الله، فلن يفصلك عن هذا الهدف شيء، وتعيش سعيداً.

أما إذا جعلت لنفسك أهدافاً ورغبات أخرى أضفتها إلى الله... فهذه هى التى تضرك ...

قلبك من الداخل - المحب لهذه الرغبات - هو الذى يضرك، وليس الناس ...

قد يستطيع أحد أن يأخذ منك مالاً. فإذا كنت لا تحب المال ولا تهتم به فى كثرته أو قلته، فلن يصيبك ضرر. قد يستطيع أحد أن يزج بك فى السجن. فإن كنت لا تهتم إلا بحرية ضميرك وفكرك وروحك فى علاقتك مع الله، ولا تهتم بالمكان الذى تعيش فيه ولا بحالتك الأرضية، فعند ذلك سوف لا تشعر بضرر. فبولس الرسول كان فى أعماق السجن وكان يرتل بفرح ...

ماذا يصنع بك الناس؟ أيقتلونك؟ وهل هذا يضرك فى

شيء، إن كان هدفك هو الحياة مع المسيح . إن بولس الرسول يقول «لى الحياة هى المسيح، والموت هو ربح... لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، فذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢١، ٢٣) . إن الشهداء قد عُذبوا وقتلوا . ولم يشعروا أنهم اصيبوا بضرر، بل على العكس نالوا الأكاليل . وكانوا يشكرون له فى عذاباتهم، لأنها توصلهم إلى الله وإلى المجد...

إن الضرر الوحيد الذى يحزنك هو الانفصال عن الله .

وليس الضيقات ولا المتاعب، التى قد تسبب لك أكاليل، إن احتملتها بشكر. ولهذا قال الرسول القديس «لذلك اسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح» (٢كو١٢ : ١٠) .

(١١)

من مشاكلك الكبرى فى حياة الشكر، تمسكك بتفكيرك الخاص أكثر من التدبير الإلهى .

إننا نريد أن ندبر أمورنا بفهمنا البشرى، بعقليتنا وطريقتنا الخاصة . وقد يكون لله تدبير آخر، لا نفهمه، فنتضايق ولا نشكر! فمثلاً إذا لم ننل طلباتنا قد نغضب . وأحياناً نرتفع درجة، فلا

نغضب . ولكننا فى نفس الوقت لا نشكر .

لأن هناك فرقاً بين إنسان شاكر، وإنسان آخر ساكت ومحتمل .

احتمالنا معناه أن هذا ضيق ، ولكننا لا نتذمر عليه ، وإنما نحتمله فى صبر . أما شكرنا فمعناه ثقتنا أن هذا الحادث هو خير، نشكر الله عليه . وهنا نكون قد أنتقلنا من العيان إلى الإيمان... وأصبحنا بالإيمان نرى الخير فى كل ما يعمله الله معنا ، غير معتمدين على الأحكام البشرية التى تحكم من الظاهر...

وإذا كان الوحى الإلهى يقول «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يفعل ، فذلك خطية له» (يع ٤ : ١٧) . فبالحرى يعمل الله الخير، إذ باستطاعته أن يعمله .

وبالضرورة لابد أن أؤمن بأن الله يصنع خيراً معى ، لأنه بطبيعته صانع للخيرات . وهو فعلاً يصنع ذلك .

إن كانت حالتى سيئة ، فكان ممكناً أن تكون أسوأ ، لولا أن نعمة الله تخلت عنى . ولكن شكراً لله لأنه لم يتخل . وسوء حالتى غالباً ما يرجع إلى أخطائى . فيجب أن ألوم نفسى ، أما الله

فإننى اشكره لأنه لم يغضب علىَّ بسبب هذه الأخطاء ، ولابد سيعيننى على الخروج منها .

الله إذن يصنع معى خيراً . ولكننى أنا الذى لا أصنع خيراً مع نفسى .

يجب إذن أن أثق بحكمة الله وتدبيره ، ولا أعتمد على تفكيرى البشرى وفهمى القاصر . وفى كل ما يحدث لى ، ينبغى أن أقول : لابد أنه وراء هذا الأمر حكمة إلهية ستظهر لنا فى حينها . وسواء كشف لنا الله حكمته أم لم يكشفها ، فحكمته موجودة نشكره عليها . وطوبى لمن آمن دون أن يرى (يو٢٠ : ٢٩) .

هذا الإيمان بحكمة الله ، يقودنا إلى حياة التسليم .

وحياة التسليم تتفق تماماً مع حياة الشكر ...

وفى هذه الحياة أقول للرب : أنا اشكرك يارب ، لأنك لو كنت ترى لى وضعاً أفضل مما أنا فيه ، لكنت قد نقلتنى إليه . أو لو كنت أنا استحق أكثر من هذا ، لكنت أعطيتنى . و يقيناً أنك تعطينى دوماً فوق ما أستحق . يكفينى أننى أثق بحكمتك وبمحبتك فى تدبيرك لحياتى . وهذا يستحق الشكر .

(١٢)

أحياناً نحن لا نشكر ، لأننا ننسى خطايانا ، وما تستحقه من جزاء .

ولو ذكرنا خطايانا ، لكنا نشكر لأن الله «لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا بحسب آثامنا» (مز١٠٣) . بل حتى لو نلنا جزاء ، لكان يجب أن نشكر أننا نتألم هنا على الأرض ، بدلاً من أن ننال العذاب الأبدى فى العالم الآخر (متى ٢٥ : ٤٦) مثل لعازر المسكين الذى استوفى بلاياه على الأرض (لو١٦ : ١٩) .

ولو أدركنا ثقل خطايانا ، لكنا نشكر حتى فى الآلام المريرة ، شاعرين أنها أقل بكثير مما نستحق . وأنها ـ أى الآلام ـ قد سمح الله بها لتقودنا إلى التوبة ...

(١٣)

ونحن قد لا نشكر ـ وبخاصة فى الألم ـ لأننا لم ندرك بعد بركة الألم وأمجاده ...

إن الألم هبة تستحق الشكر . ولهذا قال الرسول «قد وُهب

لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) . هو إذن هبة ، وأيضاً معه مجد . ولذلك قال الرسول « إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه » (رو٨ : ١٧) ومادام الألم طريقاً للمجد ، فهو يستحق الشكر إذن ...

لذلك لم يمنع الله الألم عن أحبائه :

إن بولس الرسول تعب أكثر من جميع الرسل فى الكرازة والتعليم (١كو١٥ : ١٠) . ومع ذلك لاقى اضطهادات وآلاماً أكثر من الكل ، شرحها فى (٢كو١١) . وقال ضمن ذلك « فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر ، فى الميتات مراراً كثيرة ... » (٢كو١١ : ٢٣) . والرب لم يمنع عنه كل هذه الآلام ، بل قال عندما أختاره لخدمة الرسولية « سأريه كم ينبغى أن يتألم لأجل إسمى » (أع ٩ : ١٦) .

وما نقوله عن بولس الرسول ، نقوله أيضاً عن القديس أثناسيوس بطل الإيمان :

الذى نفى عن كرسيه أربع مرات ، ودبرت ضده تهم ومؤامرات ، وقيل له « العالم كله ضدك يا أثناسيوس » وسمح الله

له بكل هذا، لأن فى الألم مجداً، وله أكاليل . وهو تعبير عن الحب .

العذراء نفسها تحملت آلاماً كثيرة، وهى أقدس إنسانة فى الوجود ...

فإن تحملت ألماً من أجل الله، اشكره من أعماقك .

لأنه قد حسبك أهلاً أن تهان لأجل إسمه (أع ٥ : ٤١) . اشكره لأنه أرشدك إلى الباب الضيق الذى يؤدى إلى الملكوت وإلى الحياة (متى ٧ : ١٤) .

(١٤)

أقول أخيراً إننا أحياناً لا نشكر، لأننا نحسب الخير الذى نحن فيه أمراً عادياً لا يحتاج إلى شكر !

خيرات كثيرة أنت فيها ولا تشكر عليها، كالصحة والستر، لأنك تحسبها أموراً عادية . ولكن المحرومين منها يشعرون بقيمتها . وإن حصلوا عليها يشكرون من العمق ... وأقول لكم كمثال :

ربما أنتم لا تشكرون الآن على النور أثناء محاضرتنا . ولكن إن أنقطع النور لأى سبب، حينئذ تدركون أنكم كنتم فى نعمة لا

تشعرون بها ، ولذلك لم تشكروا عليها ، إذ حسبتموها شيئا عاديا

ما أكثر الأمور العادية فى حياتنا التى تحتاج إلى شكر.

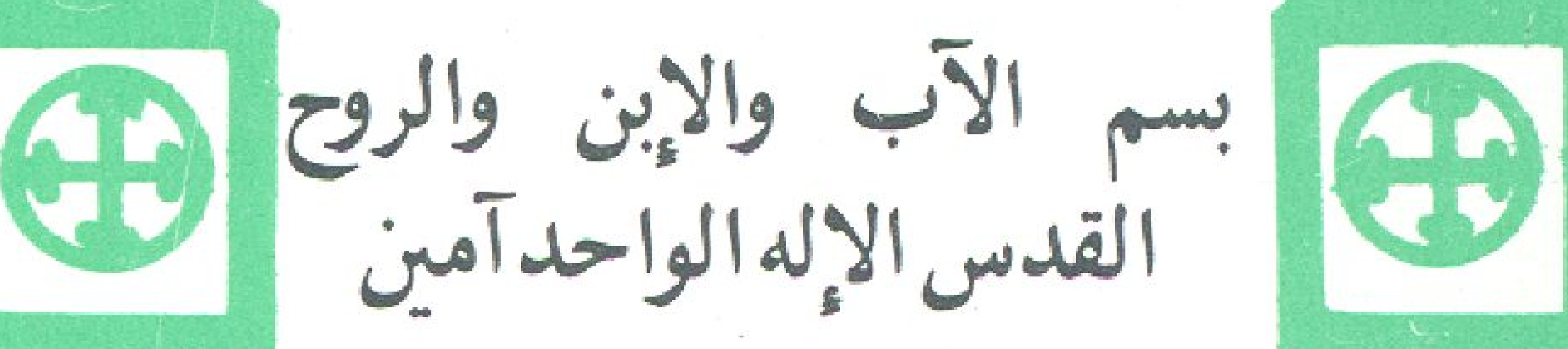


الفهـرسـت

صفحة







بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقرأ فى هذا الكتاب عن حياة الشكر، ودرجات الشكر: من الشكر على القليل، إلى الشكر على الضيقة إلى الشكر كل حين.

وتقرأ عن اسباب ومجالات الشكر، وعن الفضائل المصاحبة للشكر، كالاتضاع والإيمان، والصبر، والتسليم ...

كما تقرأ عن الأسباب التى تمنع الشكر، وهى كثيرة ...

يكمل هذا الكتاب، كتاب آخر عن تأملات فى صلاة الشكر، سننشره قريباً إن شاء الله مع تأملاتنا فى المزمور الخمسين.

شنوده الثالث







قرشا